

دار المحجة البيضاء


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

كيف نؤسِّس لبيئة قرآنية


بسم الله الرحمن الرحيم

السيد
حسن النمر الموسوي

كيف نؤسِّس لبيئة قرآنية

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، محمد بن عبد الله وعلى آله سفن النجاة، وبعدُ:

١ - أفق البحث

لقد أنعم الله عز اسمه على بني الإنسان بنعمٍ جلَّ عن الإحصاء عددُها، فقال عز من قائل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾[1].

وإن من تلك النِّعم؛ بل أجلِّها، القرآنَ الكريمَ. فهو الثقل الأكبر، والحبل الممدود بين السماء والأرض.

وغير خفي أن التعامل مع النعم - على اختلافها - هو من الأمور التشكيكية، أو قل النسبية. ومن طبيعة ما يكون منها كذلك أن يتفاوت الناسُ في التعامل معها، بين من يُوفَّق لها بأعلى مراتب التوفيق، في ما يكون حظٌّ آخر - من التوفيق - متوسطاً، وحظٌّ ثالثٍ ضعيفاً لا يكاد يُذكر، حتى يصل رابعٍ من الناس إلى مستوى الحرمان.

وما دمنا بصدد الحديث عن البيئة القرآنية، وأعني بها - تحديداً-: نعمة التوفيق إلى حسن التعامل مع القرآن على المستويين الشخصي والعام. فإن من المناسب أن تتمحور ورقة العمل هذه - على وجازتها واختصارها - في مستويات وضمن محطات؛ ممَهَّداً لها بمدخلٍ،

(١) سورة إبراهيم، الآية ٣٤. وسورة النحل، الآية ١٨.

لينتهي بنا المطاف إلى خاتمةٍ نضمِّنها ما نجده مناسباً لحديثنا من توصيات. وأسأل اللهَ سبحانه التوفيقَ والعونَ؛ فإنه تعالى من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

٢ ـ تنبيه، وتنويه:

ليس الحديث - في هذه الورقة - موجَّهاً لأهل التخصص العلمي؛ في الحوزات العلمية والجامعات؛ من حيث ضرورة التأسيس لبيئةٍ قرآنيةٍ تُعين على التخلص من تعطيل القرآن، أو تهميش دوره لحساب غيره من مصادر المعرفة الإسلامية.

فذلك بحث آخر يجب أن تُعالَج فيه دعوى وجود التعطيل أو التهميش؛ وجوداً وعدماً، كمّاً وكيفاً! وما هي وسائل التفعيل والاستحضار؟

فغرض هذا البحث - حصراً - هو الحديث عن التأسيس لبيئةٍ قرآنيةٍ في المناخ الاجتماعي العام بعيداً عن الخلاف التخصصي المشار إليه؛ فلذلك أدواته الخاصة، ومساحته غير المتاحة في هذه الورقة.

وأخيراً:

أتقدم بالعذر إلى الله تعالى أولاً، وإلى رسوله والعترة الطاهرة عليه وعليهم السلام ثانياً، وإلى القراء الكرام ثالثاً، عن كل تقصير في خدمة القرآن، وعن أي خطأ يجدونه في شكل هذا البحث أو مضمونه، آملاً أن لا يضنوا عليَّ بالتنبيه إليه لتصويبه في طبعات لاحقة.

السيد حسن النمر الموسوي

ذكرى مولد السيدة الزهراء عليها السلام

٢٠ جمادى الثانية ١٤٣٦هـ

المدخل

موقع القرآن الكريم في الفكر الإسلامي

١- إن للقرآن الكريم - في الرؤية الإسلامية - منزلةً لا تدانيها منزلةٌ؛ فهو ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]، ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[٢] على قلب[٣] عبد الله ورسوله سيد الأولين والآخرين؛ لينذر به الناسَ، وليهديهم إلى صراط مستقيم[٤]، وأخيراً فـ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[٥].

---

(١) سورة الواقعة، الآية ٨٠.

وقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس/ ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [السجدة/ ٢].

(٢) سورة الشعراء، الآية ١٩٣.

(٣) قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ * ﴾ سورة الشعراء، الآيات ١٩٢ - ١٩٥.

(٤) قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ سورة الشورى، الآية ٥٢.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٩.

وأما علو منزلة القرآن فقد روي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله - في ذلك - قوله " أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفُضِّلت بالمفصل، ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب... "[1].

وقد روى الشيخ الصدوق بإسناده عن الإمام علي بن الحسين عليهم السلام، قال:

"الإمام منا لا يكون إلا معصوماً. وليست العصمةُ في ظاهر الخِلقة؛ فيُعرف بها. ولذلك، لا يكون إلا منصوصاً.

فقيل له: يا بن رسول الله فما معنى المعصوم؟

فقال: هو المعتصِم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ " [معاني الأخبار، باب في معنى العصمة، الحديث ١].

(١) الكليني، محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ أصول الكافي، كتاب فضل القرآن، في تمثل القرآن وشفاعته لأهله، الحديث ١٠.

وقال العلامة المجلسي ت١١١١هـ في شرح الحديث - حاكياً عن المفسر الطبرسي ت ٥٧٨هـ - ما لفظه:

"وقال في مجمع البيان: قد شاع في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال " أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان الزبور المائين وفضلت بالمفصل". وفي رواية واثلة بن الأسقع " وأعطيت مكان الإنجيل المائين، ومكان الزبور المثاني، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي، وأعطاني ربي المفصل نافلة والسبع الطوال" البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال مع التوبة؛ لأنهما تُدعيان القرينتين، ولذلك لم يُفصَل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم.

وفي السياق نفسه يردد الإمام السجاد علي بن الحسين عليه

وقيل أن السابعة سورة يونس، والطوال جمع الطولى تأنيث الأطول.
وإنما سميت هذه السور الطوال لأنها أطول سور القرآن.
وأما المثاني فهي السورة التالية للسبع الطوال:
فأولها سورة يونس، وآخرها سورة النحل.
وإنما سميت مثاني لأنها ثنيت الطوال؛ أي تلتها، فكأن الطوال المبادئ، والمثاني لها ثواني. وقال الفراء: واحدها مثناة. وقيل: مثنى ومثاني. كمعنى ومعاني.
وقيل: المثاني سور القرآن كلها؛ طوالها وقصارها، من قوله تعالى ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ﴾. ووجه التسمية أنه يثني فيه الحدود والأمثال. وقيل: للثاني سورة الحمد؛ وهو المروي عن الأئمة عليهم السلام.
وأما المئون فهي كل سورة تكون نحواً من مائة آية، أو فويق ذلك، أو دوينه. وهي سبع؛ أولها سورة بني إسرائيل، وآخرها المؤمنون. وقيل: إن المائين ما ولي السبعَ الطوالَ، ثم المثاني بعدها، وهي التي يقصر عن المائين ويزيد على المفصل. وسميت مثاني لأن المائين مباديها.
أما المفصل فما بعد الحواميم إلى آخر القرآن، وطوالها من سورة محمد إلى النبأ، ومتوسطاته منه إلى الضحى، وقصاره منه إلى آخر القرآن. وسميت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم " انتهى ما قاله المجلسي.
ثم قال رحمه الله:
وعلى ما ذكره المفسرون من التفسير الطوال والمئين والمثاني والمفصل يخرج كثير من السور عن الأقسام، والسبع غير مذكور في هذا الخبر فيمكن أن يكون عند كل من الثلاثة الأول أزيد من السبع، ولا يمكن إدراجها في المفصل؛ لأن العدد مذكور فيه.
والمراد بالمفصل من سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر القرآن ثمان وستون سورة و" هو مهيمن " أي شاهد " [مرآة العقول، ج ١٢، ص ٤٨١].

السلام قوله ضمن دعاءٍ؛ كان يتلوه كلما ختم القرآنَ، فيقول:

"... وجعلته [القرآن] مهيمناً على كل كتاب أنزلته، وفضلته على كلِّ حديثٍ قصصته، وفرقاناً فرَقت به بين حلالك وحرامك، وقرآناً أعربتَ به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فصَّلته لعبادك تفصيلاً، ووحياً أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً... "[1].

ولعل نظرةً عجلى لأسماء القرآن وأوصافه - كما جاءت في القرآن نفسه - تكفي للتعرف، كلٌّ بحسبه - فـ﴿قَلِيلًا .. كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[2]، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم - على عظمة هذا الكتاب الكريم لشد الإنسان إليه. وليكتشف - من خلالها - أن هذا الكتاب:

أ- ﴿حَقٌّ﴾[3]، من ﴿ٱلۡحَقِّ﴾[4]، هادٍ إلى ﴿ٱلۡحَقِّ﴾[5].

ب- أنه كتابٌ ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾[6].

ج- أنه لا سبيل للباطل إليه؛ فإنه ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾[7].

فنحن - إذن - أمام كتاب ليس كغيره من الكتب، فهو كتاب يحدد هويةَ المسلم، ويرسم معالم حاضره ومستقبله دينيّاً ودنيويّاً معاً. وهو

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٤.

(٣) قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡ ...﴾ [البقرة/ ٩١].

(٤) قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام/ ٦٢].

(٥) سورة المائدة، الآية ٨٣.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢.

(٧) سورة فصلت، الآية ٤٢.

الكلام الإلهي الموضوع « لهداية الناس إلى حقيقة سعادتهم يهدي بالحق ويهدي إلى الحق»[1].

والقرآنُ الكريمُ - بعدُ - " يشكِّل الدستورَ الإلهيَّ والمصدرَ الربانيَّ لتعريف الإنسان بربه وبنفسه. ومن ثَمَّ، فإنه تضمَّن المبادئَ العامةَ للمشروع الإسلامي في ما يرتبط بالرؤية الكونية "[2].

بل إنه - كما قيل بحقٍّ - " كتاب شامل لجميع مراحل الحياة الإنسانية. كتاب رشد وهداية، ودستور للعمل، فهو يذكر العالم ويستلهم منه عموم الناس "[3]. وذلك لأنه - كما وصفه به أحدهم، وأصاب - " معدن العلوم الدينية والأسرار والحكم الشرعية وكنوز الحقائق وخفايا الدقائق "[4].

لهذا، لن يُفاجأ أحدٌ إذا تعامل المسلمون - عبر العصور - مع القرآن الكريم بتلك القداسة؛ النابعة من طبيعة القرآن نفسه وقداسته، باعتباره الوحي الذي لا يُرجى بعده وحيٌ. وباعتباره الكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[5]، وباعتباره نوراً مبيناً[6]،

---

(١) الطباطبائي، السيد محمد حسين ت ١٤٠٢هـ، الميزان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١٦٦.
(٢) الموسوي، السيد حسن النمر، الصراط المستقيم - شرح وصية النبي (ص) لأبي ذر (ره)، قيد الطباعة.
(٣) الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم معاصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٧، ص ٥٤٦.
(٤) المناوي، عبد الرؤوف ت ١٠٣١هـ، فيض القدير، ج ٣، ص ١٤.
(٥) سورة فصلت، الآية ٤٢.
(٦) قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء / ١٧٤].

وباعتباره الفرقان[1]، وباعتباره القول الفصل[2]، وباعتباره القرآن الكريم[3] جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، بكل ما يستلزم ذلك من الإعداد والاستعداد للتعامل معه بما يجب وينبغي.

٢ - إن لقبول القرآن وتحمله شروطاً.

وذلك أن مَن استعلى وتكبر واستكبر، ومَن جادل في آيات الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، لا يتيسر له قبوله ولا تحمله ولا الدعوة إليه بحقٍّ. قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

وقد ذكر الشيخ البهائي (ره) وغيره في بيان السر وراء وصف القرآن بأنه كريم وجوهاً ثلاثة:

الأول: إنه كثير النفع؛ لتضمنه أصولَ العلوم المهمة؛ من أحوال المبدأ والمعاد، واشتماله على ما فيه صلاحُ معاشِ العباد.

الثاني: أنه يوجب عظيمَ الأجر لتالِيه ومستمعِه والعاملِ بأحكامه.

الثالث: إنه جليل القدر بين الكتب السماوية؛ لامتيازه عنها بأنه معجزٌ باقٍ على الدهور والأعصار[5].

---

(١) قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان، الآية ١].

(٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ [الطلاق، الآية ١٣].

(٣) قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٧٧].

(٤) سورة الواقعة، الآيات ٧٥ - ٨٠.

(٥) البهائي، الشيخ محمد، مشرق الشمسين وإكسير السعادتين، مبحث مس لمصحف، ص ١٦٨ بتصرف يسير منا.

والظاهر الجلي من هذه الآيات " أن للقرآن موقعاً هو في الكتاب المكنون لا يمسه هناك أحدٌ؛ إلا المطهرون من عباد الله وإن التنزيل بعده، وأما قبل التنزيل فله موقع في كتاب مكنون عن الأغيار"[1].

كما أنه "لا شبهة في ظهور الآيات في أن المطهرين من عباد الله هم يمسون القرآن الكريم الذي في الكتاب المكنون"[2].

وأهل البيت عليهم السلام هم "العلماء بالقرآن الذي هو تبيان كل شيء والمطهرون"[3]؛ أي أنهم " الذين طهر الله تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصي وقذارات الذنوب، أو مما هو أعظم من ذلك وأدق؛ وهو تطهير قلوبهم من التعلق بغيره تعالى"[4].

٣ - لا عجب أن يحظى القرآن الكريم بهذا التكريم؛ فهو كتاب الحياة الإنسانية لمن استجاب لدعوة الله ورسوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[5].

وفي حديثٍ لافتٍ؛ يروى عن أبي سعيد بن المعلى، أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم مرَّ به؛ وهو يصلي، فدعاه، قال: فصليت، ثم أتيته.

---

(١) الطباطبائي، السيد محمد حسين ت ١٤٠٢هـ الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٧، كلام في نزول القرآن في شهر رمضان، وفي ليلة القدر مع نزوله نجوماً.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٤، ٤ - هل يعلم تأويل القرآن غير الله سبحانه؟

(٣) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ١٩، ص ١٣٧، ذيل قوله تعالى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[الواقعة/ ٧٩].

(٥) سورة الأنفال، الآية ٢٤.



فقال: "ما منعك أن تجيبني؟!".

قال: كنت أصلي!

قال: ألم يقل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾؟!... "[1].

وفي الحديث اختصارٌ، يبينه عتابُ النبي صلى اللّه عليه [وآله وسلم] له واستشهادُهُ بالآية الكريمة، أي أن هذا الصحابي لم يجب النبيَّ صلى اللّه عليه [وآله وسلم] لَمَّا دعاه، وهو أمرٌ لا يجوز بدلالة ظهور الآية واستشهاد النبي صلى اللّه عليه [وآله وسلم] بها على ذلك.

وفي حديثٍ آخرَ رواه أبو هريرة، توضيحٌ أزيد لهذا المضمون، في حادثة أخرى وقعت لصحابي آخر، جاء فيه:

خرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم على أُبَي بن كعب وهو يصلي، فقال: " **يا أُبي!** ".

فالتفت فلم يجبه، ثم صلى أبي، فخفَّف. ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقال: السلام عليك أي رسول الله!

قال: " وعليك ".

قال: " ما منعك أي أُبي إذ دعوتك أن تجيبني؟! ".

قال: أي رسول الله! كنتُ في الصلاة!

قال: " أفلستَ تجد في ما أوحى الله إليَّ أن ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ

---

(١) النسائي، أحمد بن شعيب، ت ٣٠٣هـ، السنن الكبرى، ج ١، ص ٤٧٣، كتاب المساجد، باب تأويل قول الله جل ثناؤه، ولقد آتيناك سبعاً من المثاني، الحديث ٩٨٧. ورواه مرةً أخرى، في ج ١٠، ص ٥، برقم ١٠٩١٤.

﴿وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟!

قال: قال: بلى، أي رسول الله، لا أعود... "[١].

وهذا الحديثُ وسابقه صريحان في أن التخلفَ عن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللازمة هو أمرٌ محرمٌ؛ في كلِّ حالٍ، ولأي سبب، ومن أي كان[٢].

والسببُ في ذلك واضحٌ؛ وهو الأمر الإلهي بقوله ﴿ٱسْتَجِيبُواْ﴾. وإجابة دعوته واجبة؛ وإن ترتب على ذلك بطلان الصلاة[٣].

---

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند ابن حنبل، ج ١٥، ص ٢٠٠، مسند أبي هريرة، الحديث رقم ٩٣٤٥. وقد ذكر المحققون في ذيل الحديث أن إسناده حسن.

(٢) وفي الحديث عن جابر:
" أن عمر بن الخطاب، أتى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب. فقال: يا رسول الله! إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب!
قال: فغضب، وقال: أمتهوكون فيها - يا بن الخطاب! -، فوالذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاءَ نقيةً، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني " [مصنف ابن أبي شيبة، ج ٥، ص٣١٢، كتاب الأدب، باب من كره النظر في كتب أهل الكتاب، الحديث ٢٦٤٢١].

(٣) قال العلامة الحلي " الكلام الواجب يبطل الصلاة - أيضاً - كإجابة النبي صلى الله عليه وآله" [تذكرة الفقهاء، ج ٣، ص ٣٧٦، كتاب الصلاة، بطلان الصلاة بالكلام بحرفين فصاعدا " عمدا "، الفرع أ].
ويستثنى من الكلام المبطل للصلاة رد السلام؛ فإنه - عند الإمامية - "واجب في الصلاة وغيرها" [المصدر نفسه].
وقال المازري المالكي " الاستجابة للنبي - صلى الله عليه [وآله] وسلم - مأمور بها " [شرح التلقين، ج ١، ص ٦٥٤].
وقال الماوردي الشافعي " إجابة رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلم

وأما فلسفة ذلك وحكمته؛ فهي - باختصارٍ وإيجازٍ -: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يدعو - أبداً - إلا إلى خيرٍ[1].

وهذا يكشف ماهية الوحي - قرآناً، وسنةً - وطبيعته الإحيائية للإنسان، وأن مخالفته تستتبع عواقبَ وخيمةً. وفي ما يتعلق بالتأسيس لبيئةٍ قرآنيةٍ - وهو موضوعُ بحثنا هنا - نستفيد من الآية والحديث المذكورين أهميةَ الحياة بمعناها الوحياني، وضرورة استحضار الوحي عموماً والقرآن خصوصاً؛ لتحصيل ذلك.

ولعل هذا هو ما يبرر ما جاء في حق القرآن الكريم من نصوص - نبويةٍ، وإماميةٍ - كثيرةٍ، منها:

أ - ما جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من

واجبة في الصلاة وغيرها" [الحاوي الكبير، ج ٢، ص ١٨٠].

وقال الكرماني "لم يحلّ لهم [يعني الصحابة] ولا لغيرهم إذا سألهم النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم عن شيءٍ إلا أن يجيبوه. كانوا في صلاةٍ أو غيرها " [مسائل حرب من أول كتاب الصلاة، ص ٢٤٩].

(١) يشهد لهذا أحاديث؛ منها ما رواه الصنعاني ؛بإسناده عن سمرة بن جندب، قال:

كنا مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في جنازة فقال: "أههنا أحد من بني فلان؟" فلم يجبه أحد!

ثم قال: "ههنا أحد من بني فلان؟". فلم يجبه أحد!

ثم قال: "ههنا أحد من بني فلان؟". فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله!

فقال: "ما منعك أن تجيبني في المرتين الأوليين؟! إني لم أنوه بكم إلا خيراً..."

[مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ج ٨، ص ٢٩١، كتاب البيوع، باب من مات وعليه ودين. الحديث ١٥٢٦٣] وقد روي الحديث بألفاظ متقاربة في مصادر عديدة.

قوله:

"القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع فاقرأوه فإن الله عز وجل يأجركم على تلاوته، بكل حرف عشر حسنات.

أما إني لا أقول ألم حرف واحد، ولكن ألف، ولام، وميم، ثلاثون حسنة "[1].

ب - ما جاء على لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

"إن اللهَ سبحانه لم يَعِظْ أحداً بمثلِ هذا القرآنِ، فإنه حبلُ الله المتينُ، وسببُهُ الأمينُ، وفيه ربيعُ القلب، وينابيعُ العلم، وما للقلب جلاءٌ غيرُهُ "[2].

جـ - ما جاء في خطبة السيدة الزهراء فاطمة عليها السلام - التي ألقتها على مسامع المسلمين لما سُلبت منها فدك - وصفٌ مهمٌّ للقرآن الكريم ؛ وهو قولها عليهم السلام[3]:

"لله فيكم عهدٌ قدمه إليكم، وبقيةٌ استخلفها عليكم؛ كتابُ الله،

(١) مجمع البيان، المقدمة.
ونحوه في المستدرك للحاكم، كتاب فضائل القرآن، باب القرآن مأدبة الله...

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٢.

(٣) الصدوق، محمد بن علي ت ٣٨١هـ، علل الشرائع، ج ١، ص ٢٤٧، الباب ١٨٢ - علل الشرائع وأصول الإسلام، الحديث ٢.
ورواها عنه الشيخ المجلسي في بحار الأنوار، ج ٨٩، ص، كتاب القرآن، الباب ١ - فضل القرآن، الحديث ٥، باختلاف يسير جدّاً.

بينةٌ بصائره[١]، وآيٌ منكشفة سرايره[٢]، وبرهانٌ متجلية ظواهره، مديمٌ للبرية استماعه، وقايدٌ[٣] إلى الرضوان اتباعه، ومؤدٍّ[٤] إلى النجاة أشياعه. فيه تبيانُ حجج الله المنيرة، ومحارمه المحرمة، وفضائله المدونة، وجمله الكافية، ورخصه الموهوبة، وشرايعه[٥] المكتوبة، وبيناته الجلية[٦]".

د - وأخيراً، فإن القرآن - كما جاء على لسان الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام[٧]-:

---

(١) في البحار بصائرها.

(٢) في البحار سرائرها.

(٣) في البحار وقائداً.

(٤) في البحار مؤدياً.

(٥) في البحار وشرائطه.

(٦) في البحار الجالية.

(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الباب ٣٥ - ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين، الحديث ٩.

قال العلامة المجلسي في بيان له تعليقاً على هذا الحديث ما لفظه:

قال الجوهري: غث اللحم يغث ويغث: إذا كان مهزولاً، وكذلك غث حديث القوم وأغث أي ردؤ وفسد، وفلان لا يغث عليه شيء، أي لا يقول في شيء إنه رديء فيتركه انتهى.

ثم أضاف المجلسي تعليقه فقال:

في هذا الحديث إشارة إلى وجه آخر من إعجاز القرآن، وهو عدم تكرره بتكرر القراءة والاستماع، بل كلما أكثر الإنسان من تلاوته يصير أشوق إليه، ولا يوجد هذا في كلام غيره " [بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٢١١، أبواب معجزاته صلى الله عليه وآله، الباب ١ - إعجاز أم المعجزات القرآن الكريم، وفيه بيان حقيقة الإعجاز وبعض النوادر، الحديث ١٦].

"... حبل الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدي إلى الجنة والمنجي من النار، لا يخلُق على الأزمنة، ولا يغث[1] على الألسنة؛ لأنه لم يُجعَل لزمانٍ دون زمانٍ، بل جُعل دليلَ البرهان والحجةَ على كل إنسان، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2]".

٤ – لذلك، لا يجوز – نقلاً، وعقلاً، وعقلائيّاً، وأخلاقيّاً[3]– هجرُ القرآن؛ بمعنى إهماله والابتعاد عنه تلاوةً، وتدبراً، وتطبيقاً.

وانطلاقاً من هذا، أفتى الفقهاء؛ وفي صدد تبيين طبيعة العلاقة العلمية والتعليمية المطلوبة من المسلم تجاه القرآن الكريم، أنها لازمةٌ باعتبار، ومستحبةٌ عموماً؛ فجاءت الفتوى – منهم – بأنه "يجب تعلُّمه وتعليمُه كفايةً، ويستحب عيناً"[4].

مضافاً إلى أن هجرَ القرآنِ يعني – في المضمون، والنتيجة – موتَ الإنسانية في الإنسان! وسيكون هجرانُ القرآن الكريم واحداً من " العوامل المهمة في تأخر المسلمين "[5].

والإنسانيةُ – بمعناها الأخلاقي، والتكاملي – إنما هي أمانةٌ

---

(١) أي: لا يفسد.

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٢.

(٣) ذكرنا هذه القيود لتمييز طبيعة عدم الجواز. فالفقهاء – مثلًا – لا يرون لزوم التلاوة، لكنهم لا يجيزون هجران القرآن على مستوى التطبيق.

(٤) الحر العاملي، الشيخ محمد حسن ت ١١٠٤ هـ، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، ج ٣، ص ٦٤.

(٥) الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم معاصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٧، ص ٥٤٦.

مطلبٌ استلزمها الإنسانُ؛ لا يجوز له التفريط فيها:

- **بمقتضى العقل؛** حيث يستقبح العقلاءُ الإخلالَ بها، ويتنكر من ذلك - ويستنكره - حتى المجرمون.
- **بدلالة بالنقل** - أيضاً - ؛ فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[1].

٥ - نخلص مما تقدم إلى:

أن من الضروري استحضار القرآن في الواقع الإسلامي؛ لئلا تصيبنا شكوى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على من يهجر القرآن ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾[2].

وقد توسل الحق سبحانه إلى الارتباط بالقرآن بوسائل؛ أوجب بعضَها مُوعِداً بالعقوبة على مَن خالف أمره فيها، وندب إلى بعضِها الآخر ووعد على فعلها الثوابَ الجزيلَ.

فعن إمامنا الرضا عليه السلام أنه قال - في حديثٍ طويلٍ؛ تضمَّن حكمَ التشريع وعللَه -:

"فإن قال قائل: فلِمَ أُمِروا بالقراءة في الصلاة؟

قيل: لئلا يكون القرآنُ مهجوراً مضيَّعاً، وليكون محفوظاً مدروساً؛ فلا يضمحل ولا يُجهَل "[3].

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٣٠.

(٣) الصدوق، محمد بن علي ت ٣٨١ هـ، علل الشرائع، ص ٢٦٠، الباب ١٨٢ - علل الشرائع وأصول الإسلام، الحديث ٩.

ورواه الصدوق - أيضاً - في كتابه عيون أخبار الرضا، في الباب ٣٤ - في العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنه سمعها من الرضا عليه السلام، الحديث ١.

ومع كل ما قدمناه؛ وهو نزرٌ يسيرٌ، وغيضٌ من فيضٍ؛ مما أُودِع في الكتاب الكريم والسنة المطهرة، فإننا نجد - للأسف الشديد - إهمالاً واضحاً في التعامل مع القرآن، حتى إننا لنجرؤ بالقول إن بيئاتنا - بالمعنى الذي سيأتي تفسيره - ليست قرآنيةً في صبغتها العامة!

ومن ثَم تأسف أهل القرآن، والعالِمون بمقاصده، من الوضع الذي آل إليه تعاملُ المسلمين مع القرآن الكريم.

وقد صدق من تأوَّه؛ وقال فوا أسفاه! إن القرآن؛ هذا الكتاب المصيري، لم يعد له من دورٍ سوى في المقابر والمآتم على يد المتآمرين الأعداء والجهلة الأصدقاء»[1].

هذا، مع ما نلحظه - لدى مراجعتنا للرؤية الفقهية - من محوريةٍ للقرآن في حياة المسلمين وواقعهم؛ حتى أُخرِج القرآنُ - كتعاليم -، والمصحفُ - كوثيقة -، من دائرة الاتجار، على مستوى التعليم، وعلى مستوى البيع والشراء[2]؛ حيث لا يجوز أخذ الأجرة على

---

(١) هو الإمام الخميني ت ١٤٠٩ هـ في وصيته المعروفة.
وانظر الملحقين ١، ٢ في آخر هذه الدراسة.

(٢) قال العلامة الحلي:
"مسألة ٦٥١: يحرم بيع المصحف؛ لما فيه من الابتذال له وانتفاء التعظيم، بل ينبغي أن يبيع الجلد والورق.
قال سماعة: سألته عن بيع المصاحف وشرائها، فقال: لا تشتر كتاب الله، ولكن اشتر الحديد والجلود والدفَّتين، وقُلْ: أشتري هذا منك بكذا وكذا".
وسأل جرّاح المدائني الصادقَ عليه السلام: عن بيع المصاحف. فقال: لا تبع الكتابَ ولا تشترِهِ، وبع الورقَ والأديمَ والحديدَ".
ولا بأس بأخذ الأُجرة على كِتْبة القرآن... "[تذكرة الفقهاء، ج ١٢، ص ١٤٦].

تعليمه، ولو في حدود ما يجب تعلمه منه، ويكره ذلك في ما تجاوز ذاك الحد[1].

وقال الشيخ البحراني:
"صرح جملة من الأصحاب بأنه لا يجوز بيع المصحف، وإنما يباع الورق والجلد ونحوهما من الآلات التي اشتمل عليها ذلك الكتاب. وعليه تدل الأخبار المتكاثرة... " [الحدائق الناضرة، ج ١٨، ص ٢١٨ - ٢١٩].
وقال الشيخ الأنصاري:
" صرح جماعة - كما عن: النهاية، والسرائر، والتذكرة، والدروس، وجامع المقاصد - بحرمة بيع المصحف.
والمراد به - كما صرح به في الدروس - خطه. وظاهر المحكي عن نهاية الإحكام اشتهارها بين الصحابة، حيث تمسك على الحرمة بمنع الصحابة، وعليه تدل ظواهر الأخبار المستفيضة" [المكاسب المحرمة، حرمة بيع المصحف].
وأما إخواننا السنة فالمسألة عندهم خلافية، فأجازوا الشراء، واختلفوا في البيع [انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٩، ص ٢٣٢ وما بعدها، مادة بيع، فقرة حكم بيع المسلم المصحف وشرائه له].
(١) المسألة فيها تفصيل، وخلاف.
قال السيد اليزدي:
"مسألة: لا يجوز الإجارة لإتيان الواجبات العينيّة كالصلوات الخمس، والكفائيّة كتغسيل الأموات وتكفينهم والصلاة عليهم، وكتعليم القدر الواجب من أُصول الدين وفروعه، والقدر الواجب من تعليم القرآن كالحمد وسورة منه، وكالقضاء والفتوى ونحو ذلك، ولا يجوز الإجارة على الأذان... " [كتاب العروة الوثقى، باب الإجارة].
ولم يعلّق المحشُّون من الفقهاء بشيء على محل الشاهد. ما يعني موافقتهم إياه.
والمستفاد من كلماتهم أن الواجب تعلمه من القرآن لا يجوز أخذ الأجرة على تعليمه، وما زاد جاز على كراهية، والتفصيل يُطلب في مظانه.

فقد روى الشيخ الطوسي في الاستبصار بسنده، عن زيد بن علي، عن أبيه عن آبائه، عن علي عليهم السلام:

" أنه أتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين.. والله إني لأحبك لله!

فقال له: ولكني أبغضك لله!

قال: ولـمَ؟!

قال: لأنك تبغي على الأذان، وتأخذ على تعليم القرآن أجراً "[1].

---

(١) الطوسي، أبو جعفر ت ٤٦٠ هـ، تهذيب الأخبار، كتاب المكاسب، باب المكاسب، الحديث ٢٢٠. ورواه - أيضاً - في الاستبصار، باب الأجر على تعليم القرآن، الحديث ٢.

قال العلامة الحلي:

"مسألة ٦٤٣: يجوز أخذ الأُجرة على تعليم الحكم والآداب والأشعار، ويكره على تعليم القرآن؛ لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين والله إنّي لأُحبّك لله!

فقال له: ولكنّي أبغضك لله!

قال: ولِمَ؟

قال: لأنّك تبغي في الأذان، وتأخذ على تعليم القرآن أجراً. وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَنْ أخذ على تعليم القرآن أجراً كان حظّه يوم القيامة ".

وعن إسحاق بن عمار عن الكاظم عليه السلام، قال:

قلت: إنّ لنا جاراً يكتب وقد سألني أن أسألك عن عمله.

فقال: مُرْه إذا دفع إليه الغلام أن يقول لأهله: إنّي إنّما أُعلّمه الكتاب والحساب وأتّجر عليه بتعليم القرآن، حتى يطيب له كسبه ".

وعن حسان المعلّم قال: سألت الصادقَ عليه السلام عن التعليم، فقال: لا تأخذ على التعليم أجراً.

قلت: الشعر والرسائل وما أشبه ذلك أُشارط عليه؟

قال: نعم، بعد أن يكون الصبيان عندك سواءً في التعليم لا تفضّل بعضَهم

على بعض.
وسأل الفضلُ بن أبي قرّة الصادقَ عليه السلام: إن هؤلاء يقولون: إنّ كسب المعلِّم سحتٌ!
فقال: كذبوا - أعداء الله -، إنّما أرادوا أن لا يعلّموا القرآن، ولو أنّ المعلِّم أعطاه رجلٌ ديةَ ولده كان للمعلِّم مباحاً.
قال الشيخ [الطوسي] رحمه الله :
"لا تنافي بين هذين الخبرين؛ لأنّ الخبرَ الأولَ محمولٌ على أنّه لا يجوز له أن يشارط في تعليم القرآن أجراً معلوماً، والثاني على أنّه إن أُهدي إليه شيء، وأُكرم بتحفة، جاز له أخذه؛ لرواية جرّاح المدائني عن الصادق عليه السلام؛ قال: المعلِّم لا يعلِّم بالأجر، ويقبل الهديةَ؛ إذا أُهدي إليه".
قال قتيبة الأعشى للصادق عليه السلام: إنّي أقرأ القرآن فتهدى إليَّ الهديّة فأقبلها؟!
قال: لا.
قال: قلت: إن لم أُشارطه؟
قال: أرأيت لو لم تقرأه أكان يهدى لك؟
قال: قلت: لا.
قال: فلا تقبله.
وهو محمول على الكراهة ؛ جمعاً بين الأدلّة [تذكرة الفقهاء، ج ١٢، ص ١٣٦ - ١٣٧].
وقال المجلسي الأول - تعليقاً على الحديث -:
" وحمل على الكراهة أو الأعم منها ومن الحرمة ففي الأذان وتعليم القدر الواجب من القرآن على الحرمة، وفي غيرهما على الكراهة الشديدة " [روضة المتقين، ج ٦، ص ٥١١ - ٥١٢].
وأما إخواننا السنة فقد:
" اختلفوا في الاستئجار لتعليم القرآن والحديث والفقه ونحوهما من العلوم الشرعية" [انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ١٣، ص ١٥، مادة تعلم وتعليم، الفقرة ١٥].

ونستوحي من ذلك كله أن الواجب على المسلمين هو التعامل مع القرآن الكريم على أساس أنه فوق المادة والماديات؛ فلا يسوغ قياسُ منزلته في أوساطهم بالمال بالغاً ما بلغ.

فما أحوجنا - إذن - إلى أن نعيد للقرآن مكانته اللائقة، ودورَه الأساسي في حياتنا كمسلمين:

أ- على مستوى التفكير والتنظير.

ب- وعلى مستوى الألفاظ والبيان والأدب.

ج- وعلى مستوى الروح والأخلاق.

***

١. فما هو معنى البيئة؟
٢. ما هي المعطيات والنتائج التي نجنيها من وراء ذلك كله؟
٣. ما هي الموانع لتحقيق بيئة قرآنية؟
٤. ما هي الآليات التي تعين على تحقيق ذلك؟
٥. هل ثمة مبادئ أخلاقية وتربوية يجب مراعاتها في سياق النشاط لتأسيس بيئة قرآنية؟

تلكم أسئلةٌ خمسةٌ؛ نسعى للحصول على أجوبةٍ لها في السطور التالية؛ ضمن محطات؛ تشكل كلُّ محطةٍ محوراً من محاور هذه الورقة.

ومن الله تعالى نستمد التوفيق والعون.

المحطة الأولى
معنى البيئة

في الإجابة على التساؤل الأول نقول:

لا نعني بـالبيئة الأرض التي تقلُّ الإنسان، ولا السماء التي تظلُّه، ولا الطقس الذي يعيش في كنفه، ولا الجبال والسهول والوديان التي يسكن بينها أو فيها. وإنما نعني بالبيئة: المحيط الاجتماعي، الذي يضمه وجماعةً من الناس، ويلتقون فيه على عادات وتقاليد ونظم اجتماعية وأنساق ثقافية[1].

---

(١) البيئة ليست مصطلحاً شرعيّاً؛ حتى نبحث عنه في النصوص الشرعية، وإنما هو مصطلح مستحدث، وقد اختلف في تعريفه. لذلك، وضعنا التعريف الذي يبين مقصودنا منه.

وجاء في المعجم الفلسفي تعريفاً لمصطلح البيئة، ما لفظه:

"في الفرنسية/ Milieu

في الانكليزية/ Environment

البيئة في اللغة المنزل والحالة. وتطلق في الاصطلاح على مجموع الأشياء والظواهر المحيطة بالفرد، والمؤثرة فيه. تقول البيئة الطبيعية، أو الخارجية، والبيئة العضوية أو الداخلية، والبيئة الاجتماعية، والبيئة الفكرية.

قال كلود برنارد:

هناك بيئتان تؤثران في الكائن الحي الأولي هي البيئة الكونية أو الخارجية،

فهي بيئةٌ اجتماعيةٌ وثقافيةٌ؛ ينبثق منها سلوكياتٌ قوليةٌ وفعليةٌ وشعوريةٌ تحكم أفرادَها؛ حتى قيل إن الإنسان "يبصر ويسمع، ويفهم بخلفيته الثقافية وبمواريثه الاجتماعية"(١). ومن ثم، فإنه لا غرابة أن يكون الإنسان ابن بيئته؛ فـ" لكل أمة عقلية خاصة تغلب على تفكير أبنائها "(٢).

وكما أن البيئة الطبيعية قد تصاب بالتلوث المضاد لسلامتها، كذلك البيئة الاجتماعية قد تُصاب بما يجعلها ملوثةً لا تصل إلى مبتغاها التكاملي على المستوى الإنساني والأخلاقي؛ فتنعكس سلباً على الفرد في سلوكه؛ الذي "هو محصلة التفاعل بين الفرد والبيئة في لحظة معينة"(٣).

فالعرب - مثلاً - كانوا يؤمنون قبل الإسلام "ببعض المعتقدات الخرافية، وكثير منها مقتبس من غيرهم، وما ذلك إلا لعجز عقولهم عن تكوين نظرة شاملة عن الكون واتساق حوادثه، وهذا ناتج عن طبيعة بيئتهم التي لم تهيئ لهم الاستقرار المادي والنفسي؛ ليتمكنوا من التفكير السليم والملاحظة الدقيقة الهادئة، والنظر في حوادث الكون، وربط النتائج بالأسباب، وتعليلها تعليلاً منطقياً صحيحاً،

والثانية هي البيئة العضوية أو الداخلية.

وتطلق البيئة بهذا المعنى على الزمان والمكان من جهة ما هما إطاران محيطان بالظواهر الطبيعية.

والبيئة مرادفة للوسط، يقال فلان في وسط القول أي بينهم" [المعجم الفلسفي، مادة البيئة].

(١) الكيلاني، د ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، ص، ١٣٣.

(٢) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ٤٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٥١.

فآمنوا بوجود الجن والأرواح الخفية، وكونها العلل التي تجلب الأمراض والشرور"[1].

وفي هذا السياق جاء التحذير النبوي الشهير؛ بدافع التعريف بما من شأنه التأسيس لبيئة أولية صالحة أو افتقادها؛ حيث خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال:

"أيها الناس إياكم وخضراء الدِّمَن[2]!

قيل: يا رسول الله وما خضراء الدِّمَن؟!

قال: المرأة الحسناء في منبت السوء"[3]. أي: إنها جميلة لكن حسبها لئيم، أو خُلقها دنيء، ونحو ذلك مما يجعلها فاقدة لصلاحية الإعانة على بناء أسرة صالحة.

وفي السياق نفسه، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم" **اختاروا لنطفكم؛ فإن الخال أحد الضجيعين"[4].**

وقال صلى الله عليه وآله وسلم" **أنكِحوا الأكْفاءَ، وانكَحُوا فيهم، واختاروا لنطفكم"[5].**

---

(١) برو، د توفيق، تاريخ العرب القديم، ص ٢٧٦.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية " الدمن جمع دمنة، وهي: ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها؛ أي تلبده في مرابضها فربما نبت فيها النبات الحسن النضير " [النهاية في غريب الأثر، مادة، دمن].
وفسره صاحب المحكم والمحيط الأعظم بقوله " الدمن من الكلأ، يُرى له غضارة وهو وبيء المرعي، منتن الأصل".

(٣) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، المقدمات، باب استحباب اختيار الزوجة الكريمة الأصل، الحديث ٤.

(٤) المصدر السابق، الحديث ٢.

(٥) المصدر السابق، الحديث ٣.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم" **الناس معادن كمعادن الذهب والفضة** "[1].

وهذه الأحاديث- وأمثالها - تؤكد أن ثمة أثراً يفرض نفسه إلى درجة كبيرة على الإنسان، ينبع من البيئة، التي هي: النسب، والحسب، والثقافة المتلقاة في المنزل والمحيط الاجتماعي والمدرسة، والسلوكيات الشائعة بينهم من يعيش في أوساطهم.

ومما تعارف عليه التربويون هو أن "من طبيعة الإنسان أن يكتسب من البيئة التي ينغمس فيها، ويتعايش معها ومع ما لديها من أخلاق وعادات وسلوك"[2]، حتى قال بعض الباحثين إن "دين الإنسان وأفكاره الخلقية تقررها بيئتُهُ عادةً"[3].

كما تقرر في أوساطهم - أيضاً - أن النمو الإنساني إنما هو " نتيجة للتفاعل بين العوامل الوراثية والخبرات المكتسبة من البيئة

وفي النبوي عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم "تخيروا لنطفكم، وانكَحوا الأكفاءَ، وأنكِحوا إليهم" [سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٦٣٣، كتاب النكاح، باب الأكفاء، الحديث رقم ١٩٦٨].

وعن عائشة - أيضاً - أ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم "تخيروا لنطفكم لا تضعوها إلا في الأكفاء" [سنن الدارقطني، ج٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، باب المهر، الحديث ٣٧٨٨].

(١) الصدوق، محمد بن علي ٣٨١هـ، من لا يحضره الفقيه، ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة التي لم يسبق إليها، برقم ٥٨٢١.

وفي صحيح مسلم " الناس معادن كمعادن الفضة والذهب... " [باب الأرواح جنود مجندة].

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ج ٢، ص ٥٢.

(٣) ديورانت، ويل، قصة الحضارة، ج ٢٩، ص ٢٨٤.

المحيطة، بما في ذلك الخبرات التربوية، وبذلك فالإنسان لا يصل بالنمو إلى درجة كماله الإنساني نتيجة للعوامل الوراثية وحدها، بل لا بد من تفاعل هذه العوامل مع العوامل البيئية بصفة عامة، والعوامل التربوية بصفة خاصة"[1].

وهذا - بالتحديد - ما نعنيه بـ **البيئة**.

ولا يخفى على ذي لبٍّ أن "البيئةَ مؤثرةٌ جدّاً، وشؤونَ البيت وساكنيه نافذةٌ قطعاً، واعتقادات المربي تسري إلى المربَّى - بالفتح - بلا ارتياب"[2].

وهذا ما توصل إليه - أيضاً - مفكرون غربيون فرأوا " أن أكثر الناس طيبون بفطرتهم، وإن ما يفسدهم هو البيئات الشريرة والقوانين السيئة "[3]. وقال بعضهم " الإنسان خير الفطرة، ولكن البيئة السيئة هي التي تفسده"[4].

لكن يجب المسارعة إلى القول:

إننا حينما نولي البيئة أهميةً كبرى فإن هذا لا يعني أن الإنسان يقع في إسارها، ولا يستطيع التخلص من آثارها. بل إن الواقع المعاش،

---

(١) مدكور، علي أحمد، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، ص ٩٥.

(٢) الگلپايگاني، السيد محمد رضا الموسوي ت١٤١٤هـ، نتائج الأفكار في نجاسة الكفار، ص ١١٩.

قال ويل ديورانت:

"... وكثيراً ما كان الكتاب الإنسانيون أنفسهم يسلمون عقولهم لسخافات بيئتهم "[قصة الحضارة، ج ٢١، ص ٤].

(٣) قصة الحضارة، ج ٣٥، ص ٢٨٥، نقلًا عن فيلدنج وآخرين.

(٤) المصدر السابق، ج ٤١، ص ٤٤، نقلًا عن روسو.

والتاريخ والتجربة الإنسانية، وقبل ذلك وبعده الوحي الإلهي، كل ذلك يؤكد أن لدى الإنسان القدرة اللازمة على الانعتاق من تأثير البيئة؛ مهما كانت صارمةً، وأن الإنسانَ مخيَّرٌ وليس مسيَّراً[1].

ومن دون التأكيد على حقيقة القدرة على الانعتاق سيكون الحديث عن كثير من العلوم والنشاطات فعلاً عبثيّاً، وسيكون المصير إلى الجبر هو المقولة المنطقية والسلوك السوي! ولسنا ممن يقول بذلك، بل نرى أن منطق العقل والنقل معاً يتعاضدان على:

- حرية الإنسان من جهةٍ.
- قدرته على تغيير ذاته من جهةٍ ثانيةٍ.
- قدرته على تغيير بيئته من جهةٍ ثالثةٍ.

وهذه - وما يماثلها - هي المسوغ للحديث عن التأسيس لأي

---

(١) مسألة الجبر والاختيار من المسائل العويصة، وقد أخذت حيزاً واسعاً من النقض والإبرام بين علماء الأمة، فمن قائل بالحرية المطلقة، وقائل بالجبر، وقائل بالحرية ضمن القضاء والتقدير الإلهيين فيما عرف - في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومن تابعهم وشايعهم - بـالأمر بين الأمرين.
قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: "أصل حرية الإرادة والاختيار من الأصول التي انطوت عليها الفطرة الإنسانية، ولولا الوساوس المختلفة لأتفق الجميع على حقيقة حرية الإرادة في الإنسان " [الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٩، ص ٣٦٤].
ويكفي في الاستدلال على هذه الحرية - في مقابل نظرية الجبر - أن يقال: إن دعوة الأنبياء - في الأساس - أقوى دليل على حرية الإرادة الإنسانية، واختيار البشر... ؛ لأنهم لو كانوا مجبورين لكان إقامة الدليل والبرهان، وإرسال الأنبياء وتبليغهم ودعوتهم لغواً [الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٤، ص ٥٠٦].

بيئة إنسانية.

وأما **البيئة القرآنية** فنعني بها: توفير الأجواء المناسِبة ليتبوأ القرآن الكريم دوره الطبيعي والمناسِب للمهمة التي أُنزِل من أجلها، على مستوى البناء المعرفي والتنمية الإنسانية، وإعمار الأرض.

وذلك باعتماد عدد من الوسائل والآليات؛ من شأنها إعادة تشكيل الواقع الاجتماعي في الوسط المسلم، والمؤمن بخاصة، بالصبغة القرآنية؛ التي هي صبغة الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[1]؛ "فلكل حضارة من الحضارات -قديمها وحديثها- مظاهر مميزة"[2].

وبغير ذلك فإن المجتمع غير القرآني سيتحول - وفقاً للمنظور الرباني - إلى مواتٍ وبوارٍ؛ يترتب عليه ما يترتب على القتل المادي.

ويشهد لهذا التوجيه، بل يدل عليه، ما رواه سماعة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

"قلت له: قول الله عز وجل: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[3].

فقال: **من أخرجها من ضلال إلى هدى فكأنما أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها** "[4].

وعلق المازندراني على الحديث بقوله:

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٨.

(٢) عصفور، محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ص ٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٢.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب ت ٣٢٩ هـ أصول الكافي، كتاب الكفر والإيمان، باب في إحياء المؤمن، الحديث ١ .

الحياة الحقيقية عند أهل العرفان هي حياة النفس الإنسانية؛ وهي: اتصافها بالهداية، والعلم، والإيمان، والأخلاق المرضية، وسائر الكمالات الإنسانية.

والمرادُ بإحيائها جعلُها متصفةً بهذه الصفات.

والإحياء - في الآية - وإن لم يكن مختصّاً به، لكنه من أفراده تأويلاً؛ بل هو من أعظم أفراده... "[1].

وعن فضيل بن يسار، قال:

"قلت لأبي جعفر [الباقر] عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ في كتابه ﴿أَوْ .. وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[2].

قال: من حرقٍ أو غرقٍ.

قلت: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى؟

قال: ذاك تأويلُها الأعظمُ... "[3].

ويجب إلفاتُ النظر إلى أمرين مهمين:

الأول: أننا حينما نتحدث عن التأسيس لبيئة قرآنية، فلسنا نتحدث عن أمرٍ كماليٍّ؛ يفيدنا حصولُهُ، ولا يضرنا فواتُهُ، ومن ثم فإن الأمر

---

(١) المازندراني، الملا صالح ١٠٨١هـ شرح أصول الكافي، ج ٩، ص ١٠٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٢.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ أصول الكافي، كتاب الكفر والإيمان، باب في إحياء المؤمن، الحديث ٢.

قال العلامة الطباطبائي:

" والمراد بكون الإنقاذ من الضلالة تأويلاً أعظم للآية كونُهُ تفسيراً أدقَّ لها. والتأويلُ كثيراً ما كان يُستعمل في صدر الإسلام مرادفاً للتفسير" [الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٣٢٣].

اختياري وإن كان هو الخيار الأفضل!

كلا، الأمر ليس كذلك.

والسبب هو أن القرآن هو حبل النجاة؛ الذي يجب التمسك والاعتصام به. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1].

الثاني: أن التمسك بالقرآن لا يعني - أبداً - أن نستغني بالقرآن وحده عن ما عداه من مصادر مشروعة! " فالقول بالاكتفاء بالكتاب عن الرجوع إلى السنة تعبيرٌ آخرُ عن التنكر لأصل الإسلام، وهدمٌ لأهم معالمه وركائزه العملية "[2].

لا، ليس الأمر كذلك، فإن القرآن نفسه مادةُ اعتصامٍ غيرِ مستقلةٍ عن الله تعالى، وإنما لزمنا الاعتصامُ به لأن الله ضمَّنه مادة الاعتصام الأساسية. ثم ضم إليه أموراً أخرى؛ من قبيل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ من أقوال وأفعال وإمضاءات؛ تسمى بالسنة، وما صدر مثل ذلك عن آله عليهم السلام؛ الذين هم عدل القرآن وتوأمه الذين لا ينفك عنه.

أما عن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنقرأ قوله تعالى ﴿... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...﴾[3]، الذي كشف لنا الدور المهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو تبيين الذكر؛ أي القرآن، للناس وهذا البيان هو ما يعرف بالسنة؛ الذي قد يتخذ واحداً

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) الحكيم، السيد محمد تقي ت١٤٢٢هـ الأصول العامة للفقه المقارن، ص ١٢٤.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٤.

من أشكال ثلاثة؛ هي:

أ - البيان القولي

ب - البيان الفعلي

جـ - البيان الإمضائي

ونحوها قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(1).

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما يبين فإنه لا يخرج عن الإطار الرباني المرسوم له بدقة عالية. ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾(2).

وأما عن سنة أهل البيت عليهم السلام، فنقرأ ما رواه أبو سعيد الخدري رضوان الله عليه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

"إني أوشك أن أدعَى فأجيب، وإني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل، وعترتي. كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي: أهل بيتي.

وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوضَ، فانظروا فانظروني بمَ تخلفوني(3) فيهما"(4).

---

(1) سورة المائدة، الآية ٩٢.

(2) سورة النجم، الآيتان ٣ - ٤.

(3) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي، ج ١٠، ص ١٧٨:
" بتشديد النون [تخلِّفوني] وتخفف [تخلُفوني]؛ أي: كيف تكونون بعدي خلفاء أي عاملين متمسكين بهما".

(4) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ج ١٧، ص ٢١١، مسند أبي سعيد الخدري، الحديث ١١١٣١.

وهذا المضمون " مرويٌّ بطرقٍ عديدةٍ، ومتونٍ متقاربةٍ "(١).

ولهذا النص عددٌ من الدلالات والنتائج ؛ نذكر منها:

أولاً - " وجوب التمسك بهما معاً "(٢).

ثانياً - أن " النجاة والأمن من الوقوع في مهاوي الضلال إنما هو في التمسك بحبل الآل عليهم صلوات ذي الجلال والاقتداء بهم في الأقوال والأفعال "(٣).

ثانياً - أن الأرض لن تخلو من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ الذين هم الراسخون في العلم بالقرآن كله(٤).

ولهذا الآيات، وما يضم إليها من أحاديث، صار دين المسلمين المؤمنين - وهم المسمَّون بالشيعة - وديدنهم أنهم "لا يخضعون

---

(١) البحراني، الشيخ يوسف ت ١٠٨٦هـ، الحدائق الناضرة، ج ٩، ص ٣٦٠، مبحث صلاة الجمعة، الأخبار الدالة على حجية الخبر الواحد.

(٢) الحر العاملي، الشيخ محمد حسن ت ١١٠٤ هـ، الفوائد الطوسية، الفائدة ٤٨.

(٣) البحراني، الشيخ يوسف ت ١٠٨٦هـ، الحدائق الناضرة، ج ٩، ص ٣٦١، مبحث صلاة الجمعة، الأخبار الدالة على حجية الخبر الواحد.

(٤) حكى المناوي عن الشريف [السمهودي] قوله:

"هذا الخبر يفهِم وجودَ من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمن إلى قيام الساعة؛ حتى يتوجه الحث المذكور إلى التمسك به، كما أن الكتاب كذلك. فلذلك، كانوا أماناً لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض" [في فيض القدير، ج ٣، ص ١٥].

وقال ابن حجر الهيتمي:

"وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك ولهذا كانوا أمانا لأهل الأرض" [الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ج٢، ص ٤٤٢]

لأي شيء كان إلا لكتاب الله تعالى وسنة نبيه؛ المأخوذة من عترته المعصومين من الخطأ والزلات "[١].

وليس هذا السلوك الراسخ والمعتقد الجازم، من أتباع أهل البيت عليهم السلام نابعاً من الهوى والمزاج، وإنما هو انسجامٌ وتناغمٌ مع الوصف النبوي الصادق بجملة **لن يفترقا** ؛ التي أقر بعضُ المنصفين من غيرهم بأنها "تلويح؛ بل تصريح بأنهما كتوأمين خلفهما، ووصَّى أمتَه بحسنِ معاملتِهما، وإيثارِ حقهما على أنفسهما، واستمساكٍ بهما في الدين"[٢].

ولتفصيل الحديث عن طبيعة العلاقة بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام مقامٌ آخرُ.

---

(١) الطهراني، آقا بزرگ ت ١٣٨٩هـ، توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد، ص ٧٥.

(٢) المناوي، عبد الرؤوف ت ١٠٣١هـ فيض القدير، ج ٣، ص ١٤.

المحطة الثانية

العواقب، والعقبات

هناك عواقبُ حسنةٌ لتأسيس بيئةٍ قرآنيةٍ في أي مجتمع، كما أن دون ذلك عقبات كأداء. ويجب أن تُلاحَظ هذه وتلك.

فهنا مبحثان:

المبحث الأول: العواقب الحسنة للبيئة القرآنية

نريد بالعواقب الحسنة للبيئة القرآنية: مجموعة المعطيات والنتائج؛ التي نتوخاها من تلك البيئة، ويمكن أن نجنيها من الاهتمام بالقرآن وبسط هيمنته الفكرية والاعتقادية على بيئتانا.

وهذه الهيمنة الفكرية هي ما جاء القرآن وحياً من عند الله من أجل، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ...﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٨.

وهذه المعطيات لا يمكن حصرها:

١ - على مستوى التعرف على الله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله نظرياً، وفي ما يتعلق بالسلوك إليه ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1].

٢ - على مستوى معرفة الإنسان نفسه، ودوره ووظيفته، وحاضره ومستقبله، في ما يتعلق بدينه أو دنياه، وكيف يتعامل على مستوى جوانحه وجوارحه، ليعرف متى يحب؟ ومتى يكره؟ ومتى يقدِم؟ ومتى يحجِم؟ وما أعظم هذه المقاصد التي لو بذل الإنسانُ عمرَه فيها لِما عِيب عليه ذلك.

وما أعظمهما من نتيجتين ومعطيين يحق لمن نالهما أن يستقر ويطمئن. قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[2]. وفي ذلك يقول إمامنا علي ابن الحسين عليه السلام: "لو مات مَن بين المشرق والمغرب لما استوحشتُ بعد أن يكون القرآنُ معي"[3].

وما من شك في أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المؤهل

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٩.

(٢) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ أصول الكافي، كتاب فضل القرآن، في تمثل القرآن وشفاعته لأهله، الحديث ١٣.

وقال المازندراني (ره) في شرحه:

"أراد أن مَن كان معه القرآن؛ بالتلاوة، والتدبر في آياته، والتفكر في ما فيه؛ من: أسراره، وأحكامه، وقصصه، وحكاياته، لا يستوحش من الوحدة، ولا يهتم بالانقطاع عن الخلق" [شرح أصول الكافي، ج ١١، ص ٢١].

للقيام بهذا الدور على الوجه المطلوب، ولا يُتوقع من أي منهج آخر؛ أو كتاب آخر، أن يقوم بهذا الدور.

- قال الله تعالى - مخاطباً نبيه الكريم -: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].
- قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

المبحث الثاني: عقبات وآليات

أما العقبات الكأداء، فهي مجموع العوامل التي تعيق تحويل البيئة الاجتماعية إلى بيئة قرآنية تتنفس القرآن وتنفُس به.

ولابد من التأكيد على أن إسلامية المجتمع وتدينه يشتدان ويضعفان بقدر اقترابه من القرآن الكريم وبُعده عنه.

وقد تناول الحق سبحانه دور القرآن الكريم في العواقب والعقبات معاً بقوله ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[3].

والقربُ والبعدُ يتحكم فيها - كما لا يخفى - عاملان أساسيان، هما:

١ - رفع الموانع

٢ - إيجاد المقتضيات

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٤٣.

(٢) سورة الجاثية، الآية ٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٢.

ولنوجز الحديث في العاملين بإيجازٍ شديدٍ؛ مراعاة لمقتضى حال الرسالة.

العامل الأول: الموانع

في هذا الصدد نضم صوتنا إلى الشكوى العامة من ضعف الاهتمام بالقرآن؛ في مختلف المجالات السابقِ ذكرُها، والتي ورد الحث عليها في الكتاب الكريم والسنة المطهرة، قولاً وفعلاً.

والأسبابُ والعواملُ التي أدَّت إلى هذا الإهمال، أو ضعف الاهتمام، كثيرةٌ. يمكن تصنيفها إلى نوعين اثنين:

الصنف الأول - العوامل الذاتية

نعني بـالعوامل الذاتية: ما يتسبب فيها الإنسان نفسه، وتنبع من ذاته؛ على المستوى العقلي، أو النفسي، أو الجسدي.

ومثالها: أن يُبتلى الإنسانُ بآفاتٍ تحول بينه وبين التفاعل الإيجابي مع القرآن. ومن تلك الآفات: الكسل، والجهل، والإهمال، والمرض، والمعاصي، ونحو ذلك.

ولهذه الابتلاءات والآفات أسبابٌ قريبةٌ وبعيدةٌ. ليس متاحاً لنا - حالياً - الخوض فيها؛ فضلاً عن استقصائها، وليس البحث معقوداً لذلك.

الصنف الثاني - العوامل الخارجية

نعني بـالعوامل الخارجية: ما لا يكون الإنسانُ هو السببَ فيها، بل ترجع إلى الشواغل الكثيرة التي دخلت في حياتنا الاجتماعية، وأصبحت جزءً لا يتجزأ منها؛ ولكن يتحمل الإنسانُ عبءَ الاستجابة لها.

ومثالها: الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة؛ التي استسلم غالبية الناس لها بغير ضابط ولا قاعدة، حتى حلت هذه الوسائل محلَّ الكتاب والقراءة والدرس والمذاكرة للعلم... ، دون أن يُقنَّن التعاملُ معها؛ إن من حيث الوقت والشكل، أو من حيث الطبيعة والمضمون.

وترتب على ذلك تفاعلٌ وتأثرٌ سلبيان؛ من حيث طبيعة ما يُبثُّ في هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك؛ حتى صار كثيرٌ من الناس يقفون عند حدود المظاهر دون الغوص في جوهر العلم ومضامينه.

فهل هناك سبيلٌ للتخلص من هذه الشواغل بصنفيها؟

هذا ما سنقف عليه - باختصار - في الفقرة التالية.

العامل الثاني: الآليات

أما الآليات - التي يمكن اعتمادها لخلق تلك البيئة - فكثيرة. نقصر الحديث فيها عما يمكن إنجازه في بلادنا؛ تبعاً للظروف الضاغطة، والخارجة عن إرادة الراغبين في النهوض بواقعنا؛ حيث لا يتوفر لنا أن نقوم بكل ما نتمناه ونرى أنه الأسلوب الأنسب أو المناسب.

مع التأكيد على أن الآليات - التي سنذكرها - منها ما هو مذكورٌ في النصوص الشرعية، ومنها ما هو غيرُ منصوصٍ، إلا أنه ينسجم مع القواعد الشرعية والتعاليم الإسلامية مما لا حاجة في اعتماده على نصٍّ خاصٍّ.

الآلية الأولى: تلاوة القرآن الكريم علانيةً

من الآليات التي يمكن اعتمادها لخلق تلكم البيئة حرصُ الآباء

والأمهات والمربين على تلاوة القرآن أمام الأبناء، من أجل توفير جو من الأنس والاعتياد بين الأبناء.

هذا مع التنبيه إلى أن قراءة القرآن في المنازل تُعد سلوكاً إسلاميّاً أصيلاً لا يليق - وأحياناً لا يجوز - التقصيرُ فيه بالإهمال والتضييع.

وقد تضافرت النصوص الشرعية على الحض على تلاوة القرآن في البيوت، وهي مظنة وجود الأولاد فيها.

فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

"نوِّروا بيوتكم بتلاوة القرآن، ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى، صلَّوا في الكنائسِ والبيَعِ[1] وعطلوا بيوتهم!

فإن البيت إذا كثُر فيه تلاوةُ القرآن كثر خيره، واتسع أهله، وأضاء لأهل السماء كما تضيء نجومُ السماء لأهل الدنيا"[2].

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

---

(١) الكنائس، جمع كنيسة، وهي دار العبادة عند النصارى. أما البيع - جمع بيعة - فهي دور العبادة عند اليهود.
ولابد من الالتفات إلى أن عنوان الكنيسة يطلق الآن ويراد به واحدٌ من معنيين:
الأول: جماعة من النصارى " لديهم مجموعة محددة من المعتقدات" فيقال الكنيسة الكاثوليكية، والبروتستانتية، والأرثوذكسية....
الثاني: "المبنى الذي يستعمله النصارى للعبادة ".
[وللتوسع انظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة الكنيسة].
وما قصده النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في الحديث المذكور في المتن - هو خصوص المعنى الثاني.

(٢) أصول الكافي، كتاب القرآن، باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن، الحديث ١.

"البيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويُذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين. ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض.

وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن، ولا يذكر الله عز وجل فيه، تقل بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين"[1].

وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

"إن البيت إذا كان فيه المرء المسلم يتلو القرآنَ يتراءاه أهلُ السماء كما يتراءى أهلُ الدنيا الكوكبَ الدريَّ في السماء"[2].

فهذه نصوص ثلاثة - تروى عن ثلاثة من المعصومين عليهم السلام في فترات مختلفة - تؤكد على مبدأ تلاوة القرآن في البيوت. الأمر الذي يعني أننا لسنا بين يدي مسألة ظرفية طارئة، بل أمام مسألة تربوية أساسية، تنتهي بمن يلتزمها إلى عاقبة حسنة في الدنيا والآخرة.

وفي ما يتعلق بما نحن بصدد معالجته؛ وهو التأسيس لبيئة قرآنية، يمكننا القول إن القاعدة العامة في هذا الباب لها ركنان:

الركن الأول - وجوب تعليم الأولاد ما يلزَمُهم.

الركن الثاني - استحباب تعليمهم ما يكمِّلهم.

ويدل على ما قلناه نصوصٌ شرعيةٌ كثيرةٌ، منها:

أ - قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

---

(١) المصدر السابق، الحديث ٣.

(٢) المصدر السابق، الحديث ٢.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

فإن ظاهر الآية أن المؤمن ملزَم بالسعي في وقاية نفسه وأهله ما يؤدي به إلى النار[2]. ولا يخفى أن القرآن الكريم هو المادة الأساسية في بيان سبيل الجنة وسبيل النار، فتعلمه - بهذا المقدار - واجب.

ب - ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال:

"الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين"[3].

وهذا الحديث بصدد بيان المراحل التي يمر بها الولد؛ من حيث أهليته للتعلم والتأدب، ومن حيث ما يزود به فيها، ومن حيث طريقة التعامل التربوي معه بما يناسب قدراته.

جـ - ما روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، أنه قال:

" جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: **يا رسول الله ما حق ابني هذا؟**

---

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

(٢) قال الفقيه السيد الخوئي (ره):

" المستفاد منها [يعني الآية] وجوبُ حفظِ مَن يتولاه عن الوقوع في الحرام، مضافاً إلى وجوب حفظ نفسه؛ فهو مكلف - بالإضافة إلى حفظ نفسه - بحفظ أهله " [كتاب النكاح، ج ١، ص ١٤٩].

وأما تحديد المقصودين بالأهل في الآية فقد قال السيد الخوئي (ره) - في جواب سؤال قدم له - ما نصه:

" كل من يمت إليه بصلة رحم، أو قرابة أو نكاح، ومن يكون في حوزة طاعته في أمره ونهيه " [صراط النجاة، ج ٣، ص ٣١٨، السؤال ٩٩٥].

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ الكافي، كتاب العقيقة، باب تأديب الأولاد، الحديث ٣.

قال: تحسن اسمه، وأدبه موضعاً حسناً"[1].

وأما عن خصوص خلق بيئة قرآنية، فقد جاءت في الأحاديث فضلٌ كبيرٌ لمن تولى تعليم أولاده القرآن.

ومن تلك النصوص:

أ - ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

" قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قبَّل ولده كتب الله عز وجل له حسنةً، ومن فرَّحه فرَّحه الله يوم القيامة، ومن علَّمه القرآن دُعي بالأبوين؛ فيكسَيان حلتين؛ يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة "[2].

ب - ما رواه الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

" قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلموا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون فيقول له القرآن: أنا الذي كنت أسهرت ليلك، وأظمأت هواجرك، وأجففت ريقك، وأسلت دمعتك، أؤول معك حيثما أُلت؛ وكل تاجر من وراء تجارته، وأنا اليوم لك من وراء تجارة كل تاجر. وسيأتيك كرامة [من] الله عز وجل. فأبشر!

فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه، ويعطى الأمان بيمينه، والخلد في الجنان بيساره، ويكسى حلتين.

---

(١) المصدر السابق، باب حق الأولاد، الحديث ١.

(٢) المصدر السابق، باب بر الأولاد، الحديث ١.

ثم يقال له: اقرأ وارقه فكلما قرأ آية صعد درجة، ويكسى أبواه حلتين؛ إن كانا مؤمنين. ثم يقال لهما: هذا لما علمتماه القرآن"[1].

جـ - ما رواه الأصبغ بن نباتة، قال:

" قال أمير المؤمنين عليه السلام: **إن الله ليهم بعذاب أهل الأرض جميعاً! حتى لا يحاشي منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي، واجترحوا السيئات. فإذا نظر إلى الشيب ناقلي أقدامهم إلى الصلوات، والولدان يتعلمون القرآن، رحمهم فأخر ذلك عنهم "**[2].

وعلى أي حال، فإن ديناً يقول نبيه صلى الله عليه وآله "**علِّموا أولادكم السباحة والرماية**"[3]، لجديرٌ بأن يكون تعليم القرآن - بمعناه الشامل - واحداً من طرائقه التربوية الأساسية.

فإذا عرفنا أهمية العلم في ذاته من جهة، وخطورة مرحلة الشباب وحداثة السن من جهة ثانية، ستتجلى لنا ضرورة الاستثمار المبكر لمسألتي التأديب والتعليم.

وقد جاء في الخبر الذي رواه بشير الدهان، قال:

" قال أبو عبد الله عليه السلام: **لا خير في من لا يتفقه من أصحابنا يا بشير!**

إن الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم

---

(١) المصدر السابق، كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، الحديث ٣.

(٢) ثواب الأعمال، وعنه: وسائل الشيعة، ج ٦، ص ١٨٠، كتاب الصلاة، أبواب القراءة، أبواب قراءة القرآن، الباب ٧ - استحباب تعليم الأولاد القرآن، الحديث ٢.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ، الكافي، كتاب العقيقة، باب تأديب الولد، الحديث ٤.

أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم! "[1].

ونعمت الالتفاتة من الحر العاملي (ره) - تعليقاً على هذا الحديث-، حيث قال " هذه المفسدة أقرب إلى الأولاد الصغار؛ لضعف تمييزهم، وقبولهم كل ما يقع في قلوبهم "[2].

وهذا الخبر وإن كان عن عموم التفقه، فهو - بإطلاقه - يشمل التفقه في القرآن؛ بلحاظ أن القرآن هو مادة الفقه الأولى والأساسية.

وفي ما يتعلق بأهمية حداثة السن وخطورته جاء في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

"بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة"[3].

ولا يضيرنا أن يكون الإمام عليه السلام بصدد الحضِّ على تعليم

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ، أصول الكافي، كتاب العقل والجهل، كتاب فضل العلم، باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء، الحديث ٦.

(٢) الحر العاملي، الشيخ محمد حسن ت ١٠٣٠هـ، وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة، ج ٢١، ص ٤٧٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ، الكافي، كتاب العقيقة، باب تأديب الولد، الحديث ٥.

قال الشيخ الفيض - في بيان له - ما لفظه:

"يعني علِّموهم في شرخ شبابهم، بل في أوائل إدراكهم وبلوغهم التمييز، من الحديث ما يهتدون به إلى معرفة الأئمة عليهم السلام والتشيع قبل أن يغويهم المخالفون ويدخلوهم في ضلالتهم؛ فيتعسر بعد ذلك صرفُهم عن ذلك.

والمرجئة في مقابلة الشيعة. من الإرجاء بمعنى التأخير لتأخيرهم عليّاً عليه السلام عن مرتبته.

وقد يطلق في مقابلة الوعيد به.

إلا أن الأول هو المراد هنا" [الوافي، ج٢٣، ص ١٣٨١].

الأولادِ الحديثَ، فشاهدنا من هذا الخبر هو أن الناشئة يتأثرون بما يلقى على مسامعهم ويتلقونه؛ حقّاً كان أو باطلاً.

وقد روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال - في حديث - " **من قرأ القرآن - وهو شاب مؤمن - اختلط القرآن بدمه ولحمه، وجعله الله مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيجاً[1] عنه يوم القيامة** "[2].

وإذا كان أهل الباطل ينشطون في نشرهم باطلهم فإن أهل الحق أولى بنشر حقهم؛ سواء كان حديثاً أو قرآناً.

الآلية الثانية: تلاوة القرآن جماعيّاً

من الآليات التي يمكن اعتمادها - في التأسيس لبيئةٍ قرآنيةٍ - أن نتجاوز بالاهتمام بالقرآن الكريم الحدودَ الفرديةَ إلى الأفق الاجتماعي العام؛ فذلك أبعث للهمم، وأشد جذباً للفتيان.

وذلك باعتماد الوسائل التي من شأنها تحصيل ذلك من قبيل:

عقد الجلسات القرآنية العامة؛ حيث يُتلى فيها القرآن الكريم، ويُحض الأبناء على المشاركة فيها، ويشجَّعون عبر الجوائز والمكافآت على مشاركاتهم، وتمييز المبدعين والمكثرين منهم في أي جانب من الجوانب.

ومن المناسب جدّاً - هنا - استثمار شهر رمضان المبارك؛ وهو حيث يزداد الإقبال العام على القرآن الكريم؛ تلاوة وتدبراً. وقد روي

---

(١) أي مدافعاً.

(٢) الصدوق، محمد بن علي ت ٣٨١هـ ثواب الأعمال، ثواب من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال " **لكلِّ شيءٍ ربيعٌ، وربيعُ القرآن شهرُ رمضان** "(١).

على أن يُخطط للدفع بهذا الاهتمام إلى تجاوز الشهر الكريم؛ ليكون القرآنُ محطَّ اهتمام المؤمنين في آناء الليل وأطراف النهار، وفي الحل والترحال. فإن من صفات المتقين - كما قال أمير المؤمنين عليه السلام - كونهم " **تالين لأجزاء القرآن؛ يحزِّنون به أنفسَهم** "(٢). فهم يعتقدون أن القرآن الكريم هو جسرهم إلى الجنة، وطرُيق خلاصهم من النار.

الآلية الثالثة: استثمار المساجد والحسينيات

للمساجد والحسينيات - عموماً - مكانةٌ ساميةٌ في نفوس المؤمنين؛ فهي أماكن مقدسة، ويرتادونها لدواعٍ كثيرة وفي مختلف الأوقات، ويتقبلون ما يقام فيها من نشاطاتٍ دينيةٍ بروحٍ عاليةٍ.

لذلك، فإن تفعيل دور المساجد والحسينيات - في ما يتعلق بالتأسيس لبيئة قرآنية - سيجعل من النشاطات القرآنية أوسع انتشاراً

---

(١) المصدر السابق، ثواب ربيع القرآن. وأصول الكافي، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، الحديث ١٠.
وقال المازندراني - في شرحه -:
وشبهه بربيع الأزمنة وهو أول ما يظهر فيه النور والكمأة إلى أن يدرك الثمار. والوجه: نشاط القلوب في شهر رمضان، وميلها إلى تلاوة القرآن، ومشاهدة أسراره، كنشاطها وميلها إلى مشاهدة الربيع، ومشاهدة أزهاره وأنواره وأثماره. أو نمو أجر التلاوة، وثواب القراءة فيه، زيادة على غيره من الشهور، كنمو النباتات والأشجار والأثمار. والله يعلم " [شرح أصول الكافي، ج ١١، ص ٧٥].

(٢) نهج البلاغة، خطبة المتقين برقم ١٩٣.

وأشد تفاعلاً.

الآلية الرابعة: استثمار سن الصبا

إذا أردنا خلق بيئة قرآنية فإن من اللازم علينا أن نهتم - بجدٍّ - بالنشء والأحداث. وذلك لسببين أساسيين - مضافاً إلى ما قدمنا ذكره في الآلية الأولى -:

السبب الأول: أنهم - في هذه السن - أقربُ إلى التأثر بهذا النوع من النشاط، فقد روى الشيخ الكليني - في روضة الكافي -، بسنده عن إسماعيل بن عبد الخالق، قال:

"سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول؛ وأنا أسمع: أتيتَ البصرة؟

فقال: نعم.

قال: كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟

قال: والله إنهم لقليل، ولقد فعلوا، وإن ذلك لقليل.

فقال: عليك بالأحداث؛ فإنهم أسرع إلى كل خيرٍ... "[1].

ولعل ذلك " لرقة قلوبهم، وصفاء أذهانهم في الجملة، وعدم تمكن الجهل المركب في نفوسهم بعدُ كما تمكن في نفوس الشيوخ"[2].

وبعبارة أخرى: إن الشباب وحديثي السن لديهم من فراغ البال،

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ، روضة الكافي، الحديث ٦٦.
الأحداث جمع حدَث. كناية عن الشباب وأول العمر.

(٢) المازندراني، الملا صالح ت ١٠٨١هـ، شرح أصول الكافي، ج ١٢، ص ٨.

والقدرة على التفاعل، ما يجعلهم أولويةً لدى ناشري الأفكار؛ الأخيار والأشرار على حد سواء. ومن ثم، فإن على أصحاب المشاريع الخيرة أن يبادروا إلى اغتنام الفرصة عند هذه الشريحة.

وكشاهدٍ على ما نقول نقرأ كلاماً عن إمامنا عليٍّ عليه السلام، وهو يبرر وصيته لولده والمبادرة فيها بقوله:

"... وأن يسبقني إليك بعضُ غلبة الهوى وفتن الدنيا، وتكون كالصعب النفور. وإنما قلب الحديث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء [إلا] قبلته.

فبادرتك بالأدب؛ قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبك... "[1].

السبب الثاني: إن الشباب وحديثي السن أكثرُ عرضةً للاستهداف؛ حيث بُذِلت، ولا تزال تُبذَل، جهودٌ جبارةٌ لسرقة أبنائنا منا، ولا نجاةَ لهؤلاء الأبناء بغير ربطهم بالقرآن - بوعيٍ ومثابرةٍ -:

- على مستوى التلاوة والحفظ أولاً.
- الفهم والتدبر ثانياً.
- انتهاءً بحمل لواء القرآن والدعوة إليه بالقول والفعل ثالثاً.

فإذا التفتنا إلى أن الوقاية خير من العلاج - كما يقال -؛ حتى أن التربويين صاروا يميلون إلى أن " الجهود في المستقبل سوف تؤكد على عملية منع الجنوح منذ بدايته والتي تتمثل في برامج الإرشاد

---

(١) كشف المحجة لابن طاووس، وعنه: وسائل الشيعة، ج ٢١، ص ٤٧٨، كتاب النكاح، أبواب القسم والنشوز... ، الباب ٨٤ - استحباب تعليم الأولاد في صغرهم الحديث قبل أن ينظروا في علوم العامة، الحديث ٦.

الوقائي"[1]، سيتبين لنا أهمية المسارعة والمبادرة إلى احتضان أبنائنا في أجواء صالحة؛ عبر التأسيس لبيئة قرآنية، في سياق تنشئتهم على قاعدة متينة تتيح لهم الانحياز المطلق للخير وقيمه، والرفض المطلق للشر وفروعه.

الآلية الخامسة: مرونة الوسائل وحداثتها

لا يخفى أن مسيرةَ الإنسان العلمية والعملية هي في تطورٍ مستمرٍّ. ولا يصح أن يكون الدعاة إلى الخير - ومنهم الناشطون القرآنيون - بمنأى عن تطوير وسائلهم الدعوية وتحديثها باستمرارٍ؛ بما يواكب الحداثةَ في أي مجتمع؛ ما دامت هذه المواكبة لا تصطدم بثابتٍ من ثوابت الشريعة، ولا تتعارض مع لازمٍ من لوازمها.

ومن هنا، نقول:

لا غرابة في أن بعضَ ما كان معتمداً في التربية والتعليم - من وسائل تربوية - قد يكون صالحاً في ما مضى، لكنه لم يعُد كذلك الآن. كما أن ما لم يكن معهوداً في ما مضى صار من الضرورات في هذه الأيام.

فمكبرات الصوت - مثلاً - لم يعرفها السابقون، بل تعامل معهم بعض الناس، ومنهم بعض العلماء، بالنكير والرفض على مستوى التحريم[2]،

---

(١) الأشول، عادل عز الدين، علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة، ص ٥٩٦.

(٢) حدَّثنا مَن نثق به أن لغطاً وقع في النجف الأشرف؛ في زمن المرجع الكبير السيد محسن الحكيم رحمه الله، حول جواز استخدام المكبر وعدمه، إلى أن استعمله العلماء؛ وفي طليعتهم المرجع الحكيم نفسه، فخفَت صوت المعارضين وتلاشى تماماً.

لكنها - اليوم - صارت أداةً لا يستغني عنها قراءُ القرآن الكريم والمنشدون للمدائح وخطباء المنبر الحسيني وكثيرون من غيرهم.

وفي وسط العامة قال الشيخ عبد الكريم الخضير - في شرحه لحديث "ألا وإياكم ومحدثات الأمور" في مقدمة سنن ابن ماجه - ما نصه:
" مكبرات الصوت نعرف من شيوخنا مَن توفي وهو لا يستعملها " [الدرس ٦، دروس مفرغة على موقعه].
ولا ريب في أن في المسلمين من استشكل في استعمال مكبرات الصلوات؛ مما دعا العلماء والمصنفين إلى النص على الجواز، فنقرأ في موسوعة الفقه الإسلامي، للشيخ محمد بن إبراهيم التويجري، ج ٢، ص ٣٩٤، قوله:
" يجوز استعمال مكبر الصوت في الأذان والإقامة والصلاة والخطبة إذا دعت الحاجة لذلك، خاصة في الحرمين الشريفين، والمساجد الكبيرة " [ط بيت الأفكار الدولية].
قلت: يظهر منه عدم جوازه عند عدم الحاجة إليه؛ لتعليقه الجواز بالحاجة!
وفي جوابٍ على سؤال جاء فيه: هل يجوز استخدام مكبر الصوت في أداء الخطبة، أو لا يجوز، وأنَّ بعض طلبة العلم يعلن عدم جواز استخدامه؟
أجاب مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بما نصه:
"أنَّ استخدام مكبر الصوت في أداء خطبة الجمعة والعيدين، وكذا القراءة في الصلاة، وتكبيرات الانتقال - لا مانع منه شرعاً، بل إنَّه ينبغي استعماله في المساجد الكبيرة المتباعدة الأطراف؛ لما يترتب عليه من المصالح الشرعية.
فكل أداةٍ حديثةٍ وصل إليها الإنسان بما علمه الله، وسخر له من وسائل - إذا كانت تخدم غرضاً شرعيّاً، أو واجبات الإسلام، وتحقق فيه من النجاح ما لم يتحقق دونها - تصبح مطلوبةً؛ بقدر درجة الأمر الذي تخدمه، وتحققه؛ من المطالب الشرعية؛ وفقاً للقاعدة الأصولية المعروفة، وهي: أنَّ ما يتوقف عليه تحقيق الواجب فهو واجب ".
[انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، ج ٢، ص ٥٨٢، عبد الله بن عبد الرحمن البسام التميمي المتوفى ١٤٢٣هـ. الناشر: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م].

وقل مثل ذلك عن وسائل الإعلام الحديثة؛ من تلفاز وراديو، وشبكات التواصل الاجتماعي، وأمثالها من أدواتٍ صارت على درجة عاليةٍ من الضرورة والأهمية.

ولا يصح - أبداً - أن نغض الطرف أو نهمل توظيف جميع هذه الوسائل والأدوات بالحسنى في ما يتعلق بإنتاج بيئةٍ قرآنيةٍ.

الآلية السادسة: مراعاة الوضع النفسي والثقافي

لا ينجح الدعاة - لأي فكرة - في نشر ما يودون نشره إن لم يكونوا على دراية بالوضع النفسي والمستوى الثقافي، وما يتعلق به ويتسبب فيه، أو ينتج عنه؛ من أوضاع اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ونحوها، ويكون له أثرٌ لا يخفى على تفاعله إيجاباً أو عزوفه عن فكرةٍ يراد إيصالها له.

وجاء في هذا عدد من النصوص، منها:

- ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال "**إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم**"[1].
- ما روي عن الإمام علي عليه السلام قوله "**حدِّثوا الناس، بما يعرفون. أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله؟!**"[2].

---

(١) أصول الكافي، كتاب العقل والجهل، الحديث ١٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم؛ كراهية أن لا يفهموا، ج١، ص ٣٧.

ورواه الشيخ النعماني بإسناده "قال أمير المؤمنين عليه السلام: أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ حدثوا الناس بما يعرفون وأمسكوا عما ينكرون" [كتاب الغيبة، الباب ١، الحديث ١، ص ٤١].

فالمريض الموجوع - مثلاً - لن يكون مستعدّاً - كما ينبغي، ويُرجى- لاستماع أيِّ كلامٍ يُلقى على مسامعه؛ فضلاً عن أن يتقبله بقبولٍ حسنٍ؛ فهماً، وتقبلاً، وتطبيقاً.

وكذلك غير المثقف لن يكون مستعدّاً - تماماً - للإنصات لأي مبلغٍ؛ مهما كانت مقاصدُ المبلِّغِ نبيلةً وأسلوبُهُ جذاباً وفكرتُهُ صحيحةً.

وعلى هذا قِس مَن يحمل مشاعرَ سلبيةً - لأي سببٍ - تجاه الداعية لأي فكر، لا ينبغي أن نتوقع إقباله على ما يُلقَى على مسامعه؛ قبل أن تُزال مشاعره السلبية تلك.

لهذه الأسباب - وأمثالها - جاءت التوجيهات الإلهية والنبوية والإمامية - مما لا مجال للتحفظ عليه - برعاية سلسلة من الآداب والقواعد التي لا غنى عنها للدعاة الناجحين، ونسأل الله تعالى أن نكون وإياكم منهم.

ولعل من المفيد في هذا الباب أن نورد ما رواه الشيخ الكليني بإسناده، عن ابن السكيت[1] أنه سأل الإمام علي بن محمد الهادي

---

(١) ابن السكيت عالم أديب اتفق مترجموه من الفريقين على تزكيته.
ولد - على ما في الأعلام للزركلي - في سنة ١٨٦ هـ وتوفي في سنة ٢٤٤ هـ.
وقال النجاشي في ترجمته - في ما حكاه عنه السيد الخوئي -:
" يعقوب بن إسحاق السكيت، أبو يوسف: كان متقدماً عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليهما السلام، وكانا يختصان به، وله عن أبي جعفر عليه السلام رواية ومسائل.
وقتله المتوكل لأجل التشيع. وأمره مشهور. وكان وجيهاً في علم العربية واللغة، ثقة، مصدقاً لا يطعن عليه "[معجم رجال الحديث، يعقوب بن إسحاق، ج ٢١، ص ١٣٨].

وقال الحموي في ترجمته:

" وكان عالماً بالقرآن ونحو الكوفيين، ومن أعلم الناس باللغة والشعر، راوية ثقة، ولم يكن بعد ابن الأعرابي مثله... فبينما هو مع المتوكل يوماً جاء المعتز والمؤيد فقال له المتوكل: يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين، فذكر الحسن والحسين رضي الله عنهما بما هما أهله وسكت عن ابنيه، وقيل قال له: إن قنبر خادم علي أحبّ إليّ من ابنيك، وكان يعقوب يتشيع، فأمر المتوكل الأتراك فسلوا لسانه وداسوا بطنه وحمل إلى بيته فعاش يوما وبعض آخر، ومات يوم الإثنين لخمس خلون من رجب سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وقيل سنة أربع وأربعين، وقيل سنة ست وأربعين... " [معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٨٤١].

وقال الذهبي عنه:

شيخ العربية، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت البغدادي، النحوي، المؤدب، مؤلف كتاب إصلاح المنطق، ديِّن خيِّر، حجةٌ في العربية... وكتبه صحيحة نافعة.

قال ثعلب: لم يكن له نفاذ في النحو، وكان يتشيع.

... ويروى أن المتوكل نظر إلى ابنيه؛ المعتز والمؤيد، فقال لابن السكيت: من أحب إليك هما، أو الحسن والحسين؟

فقال: بل قنبر.

فأمر الأتراك، فداسوا بطنه، فمات بعد يوم.

وقيل: حمل ميتاً في بساط.

وكان في المتوكل نُصبٌ - نسأل الله العفو - " [سير أعلام النبلاء، ط الرسالة، ج ١٢، ص ١٦ - ١٨].

قلت: العجب أن المتوكل هذا يسميه بعض المتعصبين له بمحيي السنة، فترجموه بقولهم "... وهو الذي أحيا السّنّة، وأمات التجهّم، ولكنه كان فيه نصب ظاهر، وانهماك على اللذّات والمكاره... ". [شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، ج٣، ص ٢١٨].

وقال ابن الأثير "... وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب،

عليه السلام، فقال:

"لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟! وبعث عيسى بآلة الطب؟! وبعث محمداً - صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء - بالكلام والخطب؟!

فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالبُ على أهل عصره السحرَ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرَهم، وأثبت به الحجةَ عليهم. وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقتٍ قد ظهرت فيه الزمانات[1] واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثلُه، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجة عليهم.

وإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقتٍ كان الغالبُ على أهل عصره الخطبَ والكلامَ وأظنه[2] قال: الشعر، فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم.

قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط.

ولأهل بيته" [الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٨].

وقال آخر "ولم يكن له سيئة إلا أنه كان يبغض الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأمر بهدم قبة الحسين رضي الله عنه وهدم ما حولها من المنازل، وجعلها مزرعة" [الروضة الفيحاء في أعلام النساء ص ٧٨، حسب المكتبة الشاملة].

نعوذ بالله من الخطل والخطأ في القول والفعل.

(١) الزمانات هي "الآفات الواردة على بعض الأعضاء فيمنعها عن الحركة كالفالج واللقوة. ويطلق المزمن على مرض طال زمانه".

(٢) هذا الظن من ابن السكيت.

فما الحجة على الخلق اليوم؟

قال: فقال عليه السلام: العقل. يُعرَف به الصادقُ على الله فيصدِّقه، والكاذبُ على الله فيكذِّبه.

قال: فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب"[1].

الآلية السابعة: الإحاطة بالواقع الاجتماعي

لا يُتوقع لأي نشاطٍ - قرآنيّاً كان أو غيره - أن يثمر دون أن تتوفر له الشروط الموضوعية اللازمة. ومن تلك الشروط الإحاطة بالواقع الاجتماعي المراد تفعيل هذا النشاط أو ذاك فيه.

فالعمل في وسطٍ اجتماعيٍّ متقدِّمٍ علميّاً ليس كالعمل في وسطٍ اجتماعيٍّ متخلِّفٍ علميّاً؛ من حيث المواد العلميّة المزمع تقديمها.

وكذلك القول من حيث طبيعة العرض، أو الشخصية الناشطة، ونحو ذلك مما يكون مؤثراً في تفاعل الجمهور مع النشاط.

وتأسيساً على هذا، يجب:

أ - مراعاة الفروق بين المناطق، والتجمعات السكانية

يجب الالتفات إلى أن المناطق والتجمعات البشرية ليست في مستوى واحدٍ غالباً؛ بل إن من فيها يتفاوتون في أمورٍ كثيرةٍ. ومن الأمور التي يتفاوتون فيها النشاطات القرآنية، التي قد تكون مكثفةً في منطقةٍ، وخاملةً في منطقة أخرى.

وقد تسالم التربويون على حقيقة هذا التفاوت؛ حتى قال بعضهم "من الصعوبات الكبيرة التي تواجه المدرس في موقف تعليمي أنه

---

(١) أصول الكافي، كتاب العقل والجهل، المصدر السابق، الحديث ٢٠.

لا يوجد تلميذان يكتسبان نفس الخبرة التعليمية بالضبط، فحتى عندما يتحدث المدرس مباشرة إلى التلاميذ، فإن بعضهم سوف يسمع أشياء مختلفة، وبعضهم سوف يفسر ما سمع بطريقة مختلفة، وبعضهم سوف يبقي على أشياء مما سمع ويحرص عليها تختلف عن الآخرين، إن كل تلميذ سوف يساهم في الموقف التعليمي بقدر وبطريقة تختلف عن الآخرين، وإن مسؤولية المدرس هنا هي أن يلائم بين هذه الخبرات المختلفة ويوجهها بطريقة تؤدي إلى تحقيق الأهداف المرغوبة والمحددة سابقاً، إن الطفل الذي جاء من بيئة غنية اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً سوف يساهم في الخبرات التعليمية بطريقة تختلف تماما عن الطفل الذي جاء من بيئة فقيرة"[١].

وبالتالي، سينعكس ذلك على الخلفية الثقافية المتعلقة بالنشاط القرآني تحديداً؛ باعتباره محطَّ اهتمامنا هنا.

فما يصلح من نشاطٍ قرآنيٍّ؛ في مكانٍ أو بين جماعةٍ من الناس، قد لا يصلح لآخرين؛ بلحاظ هذه الخلفية.

فلا يسوغ - مع هذا - أن نكرر نشاطاتنا القرآنية على وتيرةٍ واحدةٍ دون ملاحظة هذا الاختلاف وتلكم الفوارق.

ب - مراعاة كفاءات وقابليات الناشطين ومقبوليتهم

مبدأ التفاوت في الكفاءة بين الناس لا مجال للتشكيك فيه.

والناشطون القرآنيون يتفاوتون؛ من حيث الكفاءة الذاتية، ومن حيث المقبولية لأسبابٍ ترجع إليه أو إلى الناس، أو لظروفٍ معينةٍ.

ففي هؤلاء الناشطين المبدع والمتألق، وفيهم المتوسط، وفيهم

---

(١) مذكور، علي أحمد، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، ص ٢٢٨.

من هو دون ذلك. كما أن فيهم من يكون جذاباً ومقبولاً جدّاً، وفيهم من لا يكون مقبولاً ولا مؤثراً.

وبطبيعة الحال، فإن من اللازم أن نحسن اختيار الناشط المناسب - ذاتيّاً، وموضوعيّاً - لتنفيذ النشاط القرآني؛ وفقاً لمستوى المنطقة المزمع تنفيذ نشاطٍ قرآنيٍّ معينٍ فيها وقابليتها للنشاط والناشط معاً. وقد " يكون الإنسان عالماً في مادة ما ولكنه لا يعرف كيف يدرسها"[1].

جـ - ملاحظة التعقيدات الاجتماعية

الوئام والخصام حالتان لا يكاد يخلو منهما أي مجتمع؛ لأسبابٍ كثيرةٍ، مشروعةٍ أحياناً وغيرِ مشروعةٍ أحياناً أخرى.

وهاتان الحالتان تلقيان - عادةً - بظلالهما على النشاطات الاجتماعية عموماً؛ ومنها النشاطات الثقافية؛ حتى القرآنية منها.

لذلك، يجب أن يُلاحظ أن ثمةَ نشاطاتٍ قد تكون مجديةً ومؤثرةً في مكانٍ يسوده الوئام، لكنها لا تكون مجديةً ولا مؤثرة في مكانٍ يحكمه الخصام والعصبية، أو العكس.

د - مراعاة الزمن

لا بد من اختيار التوقيت المناسب، وطوله وقصره، لأي نشاطٍ قرآنيٍّ. فصغار السن ليسوا كالشباب، وهؤلاء ليسوا كالكهول، وهؤلاء جميعاً ليسوا كالشيوخ.

كما أن إطالة المدة الزمنية في الجلسة الواحدة، أو كثرة الجلسات،

---

(١) مذكور، علي أحمد، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، ص ٢٣٠.

في النشاط القرآني قد يكون سبباً من أسباب العزوف، وداعياً من دواعي السلبية في التفاعل.

الآلية الثامنة: قرآنية الثقافة الشعبية

أعتقد أننا بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى الدمج بين الآيات القرآنية والثقافة الشعبية. على غرار ما نجده من أمثال وحكم وأشعار يتداولها الناسُ في أحاديثهم العفوية.

فإن من شأن ذلك أن يؤسِّس، بل يجذِّر، بيئةً اجتماعيةً تتنفس القرآن قلباً وقالباً، ويجعل من القرآن حاضراً في الساحة وحاكماً عليها. ومن ثم، سيكون النشاط القرآني جزءاً لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية، وركناً من أركانها؛ وهو - بالتحديد - ما نعنيه بـ **البيئة القرآنية**.

المحطة الثالثة

توجيهات عامة

وأخيراً، يجب أن يتنبه إخواننا العاملون، وأخواتنا العاملات، في النشاطات القرآنية - عموماً -، أن عليهم مسؤولياتٍ تفوق مسألة التلاوة والتجويد والحفظ؛ مع أهميتها في نفسها، إلى ما هو أعمق من ذلك بكثيرٍ. إذا أردنا لنشاطاتهم - المشكورة - أن تكون رافعاً من روافع النهوض الاجتماعي، ودافعاً من دوافعه في سبيل خلق بيئة قرآنية.

نقول ذلك لسببين - على الأقل -:

السبب الأول: حتى لا نُبتلَى بالسطحية والقشرية في التعامل مع القرآن الكريم؛ بل نجعل من حسن التلاوة، وإتقان التجويد، وكذلك الحفظ، طريقاً ممهِّداً للمقصد الأعظم من صنعِ بيئةٍ قرآنيةٍ؛ وهي الهداية - بشقَّيْها: العلمي، والعملي - إلى الصراط المستقيم.

السبب الثاني: أن لا نقع في أحبولة الازدواجية والانفصام بين ما نعمل له وبين ما نمارسه. فليس متوقعاً للعلماء والخطباء والناشطين القرآنيين أن يكون كلامُهم مقبولاً لدى الناس بينما لا يكون هم السباقين بالعمل بمضمون ما يدعون إليه.

مضافاً إلى أن هذا الفعل - الازدواجية والانفصام - مذمومٌ عند الله تعالى؛ فقد قال: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1]. وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[2].

وبطبيعة الحال، فإن هذا الفعل القبيح يجعل من المهمة شاقة وشائكة، لكنها ستكون ميسورة بعد الاستعانة بالله تعالى وقصد التقرب إليه، والتناغم بين القول والفعل.

لذلك، يجب التنويهُ إلى بعض ما يجب أو ينبغي مراعاته من توجيهات ربانية في هذا الصدد؛ من أجل الاستنارة بها في رسم استراتيجيات العمل القرآني.

وكنماذج على تلكم التوجيهات؛ ما دمنا بصدد الإيجاز دون التفصيل، نشير إلى بعض ما نرى أهميته من سمات وصفات؛ ضمن العناوين التالية:

العنوان الأول - الإخلاص

الإخلاصُ فضيلةٌ أخلاقيةٌ ساميةٌ. وقد يعبر عنه بالنية "وهي روح العمل، فلو خلا منها كان بدناً بلا روح "[3].

ولا خلاف - أيضاً - بين المسلمين في حقيقةٍ مفادُها:

(١) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٢) سورة الصف، الآيتان ٢ - ٣.

(٣) كاشف الغطاء، الشيخ جعفر ت ١٢٢٨هـ، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، ج ٤، ص ٢٣، كتاب الصوم، مبحث النية.

أن العمل - قولاً كان أو فعلاً، وظاهراً كان أو باطناً - إنما يكون صالحاً في نفسه، ومقبولاً عند الله تعالى، إذا توفر على شروط يأتي في طليعتها " نية الإخلاص، وقصد وجه الله "[١].

ويدل على هذه الحقيقة قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " **إنما الأعمالُ بالنيَّاتِ** "[٢].

وهذا ما جاء في القرآن الكريم الإرشاد إليه كمرتكز ومنطلق. كما نجده في عدد من الآيات القرآنية الكريمة، مثل:

- قوله تعالى - خطاباً للرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ

(١) الطباطبائي، السيد محمد حسين ت ١٤٠٢هـ الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٩٢، ذيل قوله تعالى ﴿...وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ... ﴾ [النحل/ ٧٦].

(٢) أمالي الطوسي، وعنه: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ١، ص ٤٨ - ٤٩، أبواب مقدمة العبادات... ، الباب ٥ - وجوب النية، الحديث ١٠.

ورواه البخاري - أيضاً - في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم؟

وقال ابن كثير - في كتابه تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، مبحث المفهوم، ص ٣١٨- " اتفق على إخراجه الجماعة من كتبهم ".

وفي تقييم هذا الحديث قال ابن الملقن الشافعي المصري: هذا الحديث أحد أركان الإسلام، وقواعد الإيمان. وهو صحيح جليل متفق على صحته، مجمع على: عظم موقعه، وجلالته، وثبوته" [البدر المنير، ج ١، ص ٦٥٤، باب الوضوء].

﴿...مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1].

- قوله تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ...﴾[2].
- قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

إن قلت: كيف يتحقق الإخلاص؟

قلت: يتحقق ذلك بأن يكون الباعث على الفعل " هو الله لأنه الله، أو القُرب إليه... أو إلى رحمته، أو طلباً لرضوانه، أو غفرانه، أو خوفاً من سخطه، أو شكراً لنعمه السابقة، أو جلباً لنعمه الحقة في الدنيا أو الآخرة، أو دفعاً لعقوبات الدنيا أو الآخرة، أو حياءً منه، أو قضاءً لما يلزم العبدَ من خدمة المعبود، أو للمركَّب منها "[4].

العنوان الثاني - المبدئية والمصداقية

يتفاوت الناس في التزامهم بمضامين ما يرفعونه من شعارات، وينقسمون في ذلك إلى فئتين أساسيتين:

أ - فئة تؤمن بهذه الشعارات بصدقٍ.

لكنهم ليسوا على وتيرة واحدة في تطبيقها. فمنهم الملتزم بمضمونها دائماً، ومنهم الملتزم بمضمونها غالباً، ومنهم الملتزم

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٩.

(٢) سورة الزمر، الآية ٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

(٤) الطباطبائي، السيد محمد حسين ت ١٤٠٢هـ، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٩٢، ذيل قوله تعالى ﴿...وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ...﴾ [النحل / ٧٦].

بمضمونها أحياناً قليلةً، ومنهم غير الملتزم بها أصلاً.

ب - فئة لا تؤمن حقيقةً بهذه الشعارات.

لكنها قد تتبناها على مستوى القول والكلمة، وقد يكثر منهم ذلك!

والفئة الأولى هم من نقصد بالمبدئيين؛ على تفاوت بينهم في الاتصاف بالمبدئية؛ لأنها وصفٌ تشكيكيٌّ؛ أي أن له مراتبَ.

وعن هذه الصفة يقول الله تعالى - مادحاً عن المستقيمين والمبدئيين، ومبيِّناً جزاءَهم الحسن عاجلاً وآجلاً - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

وقال تعالى - قادحاً غير المبدئيين - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

وبالتأكيد فإن الناشطين قرآنيّاً والناشطات يُرجى منهم أن يكونوا على درجةٍ من الإخلاص تجعل من عملهم مقبولاً عند الله تعالى ومباركاً.

العنوان الثالث - المبادرة إلى العمل بمضمون الدعوة

من خُلُق المؤمن أنه مسارع إلى الخيرات، ومبادر إلى الطاعات، وإلى تأسيسِ بيئةٍ قرآنيةٍ لا ينفك عن روح المبادرة أولاً، وأن يكون الحاكم على هذه الروح هو المعارف القرآنية، وذلك إذا أردنا أن

---

(١) سورة فصلت، الآية ٣٠.

(٢) سورة الصف، الآيتان ٢، ٣.

يتناسب الفعل والنتيجة؛ فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1].

وفي هذا السياق حكى الله تعالى ما ينبغي للمؤمن أن يكون عليه؛ ضمن ما يسألونه ربهم تعالى؛ حيث يدعونه سبحانه ويقولوه ﴿ ...وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[2].

وهكذا بالنسبة إلى الرسول الأعظم والخاتم صلى الله عليه وآله ﴿ ...قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِن.. ﴾[3]. والأولية - هنا - تعني السبق والمبادرة إلى ما يجدر أن يكون مضماراً للتنافس؛ ففي الآية " إشارةٌ إلى أمرٍ تربويٍّ مهمٍّ أيضاً، وهو أن كلَّ قائدٍ ينبغي أن يكون في تطبيق تعاليم دينه قدوةً وطليعةً، عليه أن يكون أول المؤمنين برسالته، وأول العاملين بها، وأكثر الناس اجتهاداً فيها، وأسرعهم إلى

---

(١) سورة يونس، الآية ٨١.

(٢) الفرقان، الآية ٧٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٤.

قال الزمخشري في تفسير الأولية:

" وفي معناه أوجه:

أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي؛ لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها.

وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً.

وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره؛ لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعاً، ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون، وأن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب، يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي.

فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه" [الكشاف، ج٣، ص ٣٩٢].

التضحية في سبيلها"[1].

وقد حكى الله تعالى لنا من قول لنبيه موسى عليه السلام تعقيباً على ما جرى بينه وبين النخبة من قومه لما حصل التجلي؛ وجاء فيه التأكيد على هذه القيمة الأخلاقية بأن قال ﴿...سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وهذه الفضيلة أدركها سحرة فرعون ورأوا فيها - بفطرتهم - سببها للخير ؛ فقالوا - ضمن ما قالوه - ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وفي مقام تأديب المؤمنين على هذا الخلق نقرأ قول الله تعالى ﴿...فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ .. ﴾[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: " **إن من أعظم الناس حسرةً يوم القيامة مَن وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره** "[5].

العنوان الرابع ـ التحلي بالأخلاق الحسنة

المبدأ العام في هذا العنوان هو: أن الأخلاق الفاضلة هي ما جاء القرآن الكريم لإشاعته بين الناس، وهو ما جعله الله سبحانه سبباً

---

(١) الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم معاصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٤، ص ٢٣٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٣) سورة الشعراء، ٥٨.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٤٨، وسورة المائدة، الآية ٤٨.

(٥) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب من وصف عدلًا وعمل بغيره، الحديث ٣.

للإشادة برسوله الكريم ؛ فقال في وصفه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

وهذا ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعله عنواناً وإطاراً عامّاً لدعوته؛ فقال **"إنما بعثت لأتمم مكارمَ الأخلاق"**[2].

ولسنا - هنا - بصدد تفصيل الفضائل الأخلاقية؛ فلم يُعقد البحث لهذا الغرض، وإنما يعنينا الإشارة إلى عناوين أخلاقيةٍ فرعيةٍ لا غنى للناشط القرآني عنها؛ ما دام بصدد السعي إلى خلق بيئة قرآنية. ومنها:

أ - الصدق والتودد للناس

وهنا نقول إننا لن نوفق لتأسيس بيئة قرآنية ما لم يكن الناشطون القرآنيون من أهل الصدق والمصداقية وممن يحسن التودد للناس وتألفهم؛ فالإنسان كما يقال أسير الإحسان.

وقد كشف لنا القرآن الكريم طبيعةَ الشخصية النبوية؛ التي يجدر بنا أن نتأسى بها، بقول الله تعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

ب - الإتقان

من الأمور التي اهتمت بها شريعة الإسلامية، ويحض عليها العقل السويُّ، هو أن نؤدي أعمالَنا بإتقانٍ وإجادةٍ. وهذا ما يصح وصفه - بعبارة أخرى - بـالإحسان، وقد حُدَّ وعرِّف بأنه "إيصال

(١) سورة القلم، الآية ٤.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ج ١٠، ص ٣٢٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

النفع الحسن إلى الغير"[1].

فهنا: فائدةٌ ؛ ماديةً أو معنويةً، موصوفةٌ بأنها حسنةٌ، يُراد إيصالها إلى آخر؛ نحمل تجاه رغبة في أن يستفيد.

ولن يتحقق هذا الأمر دون أن نتقن ما نحن بصدد تنفيذه، وهذا يتطلب أموراً عديدةً يرتبط بعضها بالعقل ودوره، وبالقلب وصبره، والبدن وحركته. فإن فعلنا ذلك كنا مجاهدين ومحسنين، وضمِنا لأنفسنا إسناداً إلهيّاً نحتاجه أبداً، ونتمناه دائماً.

ويرشد إلى ذلك كلِّه قولُ الله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[2].

كما ترشد إليه آياتٌ أخر تؤكد على مبدأ الإحسان الذي هو تعبيرٌ آخر عن الإتقان. ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد دفن ولده إبراهيم؛ الذي توفي صغيراً، رأى في قبره خللاً فسواه بيده ثم قال: " **إذا عمل أحدُكم عملاً فليتقِنْ**"[3].

جـ - العدل والإنصاف

لا غنى للناشطين القرآنيين عن أن يتحلوا - مضافاً إلى ما مر ويأتي - بصفة العدل والإنصاف، عبر حرصهم الشديد عن تجنب

---

(١) الطوسي، الشيخ أبو جعفر ت ٤٦٠ هـ، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٥٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٣) فروع الكافي، آخر كتاب الجنائز، باب النوادر.

وفي المعجم الأوسط للطبراني، ج ١، ص ٢٧٥، عن طريق عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال "إن الله عز وجل يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه".

الانحياز - الظالم وغير المبرر - لفريقٍ اجتماعيٍّ على حسابِ فريقٍ آخر، في حالات الاختلاف والتجاذب الذي لا يكاد يخلو منه تجمعٌ بشريٌّ.

فإنهم إن فعلوا ذلك - الانحياز الظالم - أضروا بالنشاط القرآني، وتسببوا في تصدع البيئة وحرفها عن قرآنيتها.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[1].

العنوان الرابع - تطوير الذات

من المفيد جدّاً للناشطين القرآنيين؛ ما دمنا بصدد التأسيس لبيئة قرآنية، أن يكونوا ساعين بجدٍّ في تطوير قدراتهم ومهاراتهم؛ سواء في ذلك ما تعلق بالقرآن مباشرة أو غير مباشرة.

والسبب في هذا السعي يكمن في أن الحياة الإنسانية تنمو وتتطور وتتغير. فمن لا يواكب هذا التطور والتغير سيحكمه الجمود، وقد يكتشف أن ما هو بصدد العمل من أجله، أو ما يعتمده من وسائل وآليات، قد صار عديم الجدوى أو قليلها.

وفي ذلك يقول الله تعالى - مؤدِّباً نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم - ﴿ ...وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[2].

وفي التأكيد على مبدأ الازدياد من كلِّ خيرٍ، والعلم - كما لا

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٢) سورة طه، الآية ١١٤.

يخفى - رأس الخير وأساسه، روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

"مَن استوى يوماه فهو مغبون، ومَن كان آخرُ يوميه خيرَهما فهو مغبوطٌ، ومَن كان آخرُ يوميه شرَّهما فهو ملعونٌ.

ومَن لم ير الزيادةَ في نفسه فهو إلى النقصان، ومَن كان إلى النقصان فالموتُ خيرٌ له من الحياة"[1].

العنوان الخامس - الصبر والتحمل

لن ننجح في التأسيس لبيئةٍ قرآنيةٍ، ولا في تشييدها والمحافظة عليها، إذا لم نتحلَّ بالصبر وسعة الصدر أمام المنغصات الكثيرة والعقبات التي ستواجهنا بأساليبَ مختلفةٍ؛ بقصدٍ ودون قصدٍ، وبسوءِ نيةٍ أحياناً وحسنِ نيةٍ أحياناً أخرى.

ولن يتحقق لنا شيءٌ من ذلك دون الرجوع الصادق، والدائم، إلى الله تعالى.

قال الله تعالى حكايةً لِما دعا به كليمه موسى عليه السلام؛ حيث قال ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾[2]. أي "وسع صدري"[3]. "حتى لا أضجر، ولا، أخاف ولا أغتم"[4].

---

(١) الصدوق، محمد بن علي ت ٣٨١ هـ، علل الشرائع، باب معنى المغبون، الحديث ٣.

(٢) سورة طه، الآيتان ٢٥ - ٢٦.

(٣) الطوسي، الشيخ أبو جعفر ت ٤٦٠ هـ، التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١٦٩.

(٤) الطبرسي، أبو الفضل ت ٥٤٨ هـ، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١٨.

وهذا بالطبع لا يعني أن النبي موسى عليه السلام سأله الله تعالى أن يكون ذلك بطريقٍ إعجازيٍّ، ولا أن نسأله سبحانه أن يحقق لنا ذلك بخرق للعادة، بل أن يوفر لنا ذلك ولو "بإحداث الأسباب، ورفع الموانع"[1].

العنوان السادس - العناية بالبسطاء

لَما كان البسطاء والمستضعفون هم الشريحة الأكبر في أي مجتمع، وهم المدد الحقيقي لأي إنجاز في المجتمع، كان من اللازم والأولى أن نسعى للتأسيس لبيئة قرآنية في أوساطهم.

وهذا ما فعله الأنبياء عليهم السلام كما نلمسه في ما قصه الله تعالى عنهم في مواضع عديدة، وكم عانى أولئك الأنبياء عليهم السلام من مستكبري أقوامهم للعدول عن هذا السلوك الرباني من أجل الالتفاف على الأهداف السامية للنبوات والأنبياء. فعتاة قوم نوحٍ خاطبوا نبيهم عليه السلام بقولهم ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ؟!﴾[2]. فكان جواب النبي عليه السلام لهم أن قال: ﴿... وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[3].

فعلى الناشطين القرآنيين أن يولوا هذه الشريحة الاهتمام الأكبر، وأن لا يقتصر نشاطهم على المجالس الكبيرة والشهيرة؛ حتى لا يقعوا في حبالة البحث عن السمعة والجماهيرية بعيداً عن ربانية

---

(١) المشهدي القمي، محمد ت ١١٢٥هـ كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج ٨، ص ٣٠٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية ١١١.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان ١١٤ - ١١٥.

العمل، نعوذ بالله تعالى من ذلك.

ولنكتفِ بهذه العناوين؛ من بين العشرات بل المئات من العناوين، التي يلزمَ الربانيين والقرآنيين أن يجعلوا نصب أعينهم، ويتحلوا بها كفضائل وكمالات تفتح أبواب رحمة الله عز وجل. وليُطلب تفصيلها في مظانٍّ تفصيلها من كتب التفسير والحديث والأخلاق.

وختاماً أبتهل إلى العلي القدير أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ويحط بتلاوته وزرنا، وأن يُرطب ألسنتنا بذكره، ويوفقنا لشكره وذكره.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الملاحق

الملحق ١

العلامة الطباطبائي شاكياً

قال رحمه الله في كتابه الميزان في تفسير القرآن:

إن ما جرى في أمر الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوجب اختلافَ آراء عامة المسلمين في أهل بيته. فمن عاكف عليهم هائم بهم، ومن معرِضٍ عنهم لا يعبأ بأمرهم ومكانتهم من علم القرآن، أو مبغضٍ شانئٍ لهم.

وقد وصاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم - بما لا يرتاب في صحتِهِ ودلالتِهِ مسلمٌ - أن يتعلموا منهم، ولا يعلموهم، وهم أعلم منهم بكتاب الله. وذكر لهم أنهم لن يغلطوا في تفسيره ولن يخطئوا في فهمه.

قال في حديث الثقلين المتواتر "**إني تارك فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعترتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض...** " الحديث. وفي بعض طرقه " **لا تعلِّموهم فإنهم أعلمُ منكم** ".

وقال - في المستفيض من كلامه - " **مَن فسَّر القرآنَ برأيه فليتبوأ مقعدَه من النار** ".

وقد تقدم في أبحاث المحكم والمتشابه في الجزء الثالث من الكتاب.

وهذا أعظمُ ثلمةٍ انثلم بها علمُ القرآن وطريقُ التفكر الذي يندب إليه. ومن الشاهد على هذا الإعراض قلةُ الأحاديث المنقولة عنهم عليهم السلام؛ فإنك إذا تأملت ما عليه علمُ الحديث في عهد الخلفاء؛ من المكانة والكرامة، وما كان عليه الناسُ من الولع والحرص الشديد على أخذه، ثم أحصيتَ ما نُقل في ذلك عن علي والحسن والحسين، وخاصة ما نقل من ذلك في تفسير القرآن لرأيت عجباً.

أما الصحابة فلم ينقلوا عن علي عليه السلام شيئاً يُذكر.

وأما التابعون فلا يبلغ ما نقلوا عنه - إن أحصي - مائة رواية في تمام القرآن

وأما الحسن عليه السلام فلعل المنقول عنه لا يبلغ عشراً، وأما الحسين فلم ينقل عنه شيءٌ يذكر.

وقد أنهى بعضُهم الروايات الواردة في التفسير إلى سبعة عشر ألف حديثٍ[1] من طريق الجمهور وحده، وهذه النسبة موجدة في روايات الفقه أيضاً[2].

فهل هذا لأنهم هجروا أهل البيت وأعرضوا عن حديثهم؟!

أو لأنهم أخذوا عنهم وأكثروا ثم أُخفِيت ونُسِيت في الدولة الأموية لانحراف الأمويين عنهم؟!

لا أعلم!

---

(١) ذكر السيوطي في الإتقان، وذكر عدد الروايات في تفسيره المسمى بترجمان القرآن وتلخيصه المسمى بالدر المنثور.

(٢) ذكر بعض المتتبعين أنه عثر على حديثين مرويين عن الحسين عليه السلام في الروايات الفقهية.

غير أن عزلة علي وعدم اشتراكه في جمع القرآن؛ أولاً وأخيراً، وتاريخ حياة الحسن والحسين عليهم السلام يؤيد أول الاحتمالين.

وقد آل أمرُ حديثِهِ إلى أن أنكر بعضٌ كونَ ما اشتمل عليه كتاب نهج البلاغة من غرر خطبه من كلامه! وأما أمثال الخطبة البتراء لزياد ابن أبيه وخمريات يزيد فلا يكاد يختلف فيها اثنان!

ولم يزل أهل البيت مضطهدين، مهجوراً حديثُهُم إلى أن انتهض الإمامان: محمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام في برهة كالهدنة بين الدولة الأموية والدولة العباسية، فبيَّنا ما ضاعت من أحاديث آبائهم، وجددا ما اندرست وعفيت من آثارهم.

غير أن حديثهما وغيرهما من آبائهما وأبنائهما من أئمة أهل البيت أيضاً لم يسلم من الدخيلِ، ولم يخلص من الدسِّ والوضعِ كحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكرا ذلك في الصريح من كلامهما، وعدَّا رجالاً من الوضاعين؛ كمغيرة بن سعيد وابن أبي الخطاب وغيرهما، وأنكر بعضُ الأئمة رواياتٍ كثيرةً مرويةً عنهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأمروا أصحابَهم وشيعتَهم بعرض الأحاديث المنقولة عنهم على القرآن وأخذ ما وافقه وترك ما خالفه.

ولكن القومَ إلا آحاداً منهم لم يجروا عليها عملاً في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وخاصة في غير الفقه. وكان السبيل الذي سلكوه في ذلك هو السبيل الذي سلكه الجمهورُ في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أفرط في الأمر إلى حيث ذهب جمعٌ إلى عدم حجية ظواهر

الكتاب وحجية مثل مصباح الشريعة وفقه الرضا وجامع الأخبار!

وبلغ الإفراط إلى حيث ذكر بعضُهُم أن الحديث يفسر القرآن مع مخالفته لصريح دلالته! وهذا يوازن ما ذكره بعض الجمهور: أن الخبر ينسخ الكتاب!

ولعل المتراءى من أمر الأمة لغيرهم من الباحثين كما ذكره بعضهم:

" أن أهل السنة أخذوا بالكتاب وتركوا العترة، فآل ذلك إلى ترك الكتاب لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم **"إنهما لن يفترقا"**، وأن الشيعة أخذوا بالعترة وتركوا الكتاب، فآل ذلك منهم إلى ترك العترة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم **"إنهما لن يفترقا"** فقد تركت الأمة القرآن والعترة الكتاب والسنة معاً ".

وهذه الطريقةُ المسلوكةُ في الحديث أحدُ العوامل التي عملت في انقطاع رابطة العلوم الإسلامية وهى العلوم الدينية والأدبية عن القرآن، مع أن الجميع كالفروع والثمرات من هذه الشجرة الطيبة التي أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء تؤتي أكلها كلَّ حين بإذن ربها.

وذلك أنك إن تبصرت في أمر هذه العلوم وجدت أنها نظمت تنظيماً لا حاجة لها إلى القرآن أصلاً حتى أنه يمكن لمتعلم أن يتعلمها جميعاً: الصرف، والنحو، والبيان، واللغة، والحديث، والرجال، والدراية، والفقه، والأصول، فيأتي آخرَها، ثم يتضلع بها، ثم يجتهد ويتمهر فيها، وهو لم يقرأ القرآن، ولم يمس مصحفاً قط، فلم يبق للقرآن بحسب الحقيقة إلا التلاوة لكسب الثواب أو اتخاذه تميمة للأولاد تحفظهم عن طوارق الحدثان!

فاعتبر إن كنت من أهله " انتهى كلامه رُفع مقامه[1].

قلت: يجب التفرقة بين نوعين من القصور والتقصير؛ أشار إليهما العلامة الطباطبائي في شكواه هذه.

فبعض ما ذكره رحمه الله - بمرارةٍ وألمٍ - ؛ من تقصير وقصور، لا يزال موجوداً، وبعضها الآخر زال تماماً أو ضعف - ولله الحمد-؛ ببركة الاهتمام الذي أخذت الأمة توليه للقرآن الكريم.

فقد اختلف حال الأمة منذ حوالي خمسين سنة عما كانت عليه قبله، فهي في حالة نهوض ملموسة؛ وإن اعتراها انتكاسةٌ هنا أو هناك، لكن هذا لا يسمح لنا أن نغض الطرفَ عن التحولات الإيجابية على أصعدة مختلفة؛ منها الاهتمام بالقرآن الكريم.

ولرصد هذه التحولات مجالٌ آخرُ يُطلَب في مظانه.

وأحسب لو أن العلامة الطباطبائي رحمه الله طُلب منه صياغة شكايته هذه في زماننا هذا لصاغها بلهجة أخف من لهجته تلك.

---

(١) الطباطبائي، السيد محمد حسين ١٤٠٢هـ الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٧٤ - ٢٧٦.

الملحق ٢

الإمام الخميني شاكياً

كنا قد دوَّنا بعض ما يرتبط بالمقام في دراسة منشورة لنا بعنوان البنية التحتية لنهضة الإمام الخميني. ارتأيت ضمَّه إلى هذه الدراسة لزيادة الفائدة ولمسيس ارتباطه بموضوع بحثنا.

مع التنويه إلى أن مقولات الإمام الخميني (ره) هي ما وضعناه بين علامتي التنصيص " " وما عداه فهو من راقم هذه السطور.

تعطيل القرآن وهجره - الأزمة والحل

أ - الأزمة

إذا كان للقرآن كل تلك العظمة، كما أشرنا إليه في المسألة الأولى، وذاك الدور الذي بيّناه في المسألة الثانية، وهو باب معرفة الله تعالى كما في المسألة الثالثة، فمن شأن قرآن كهذا أن يصنع أمة لا تُضارع ولا تُنافس، فكيف - إذن - بقيت هذه الأمة عبر تاريخها خاملة غير فاعلة، إلا في فترات محدودة جدّاً؟

الجواب: هو أن الإمام الخميني (ره) يرى أن القرآن تعرض لمشكلتين كبيرتين:

المشكلة الأولى: هجر القرآن

وذلك أن الغالبية العظمى من المسلمين لم يتعاملوا مع القرآن الكريم كما يجب، بسبب أنهم لم يقدروه قدره، والمصيبة هنا عامة لم تقتصر على المسلمين، فـ " **ما أصاب البشرية لهجرها حقائق المقام العالي للثقل الأكبر** "[1] يفوق حد التصور.

ويقول في هذا الصدد " **إن مهجورية القرآن لها مراتب كثيرة ومنازل لا تحصى، ولعلنا متصفون بالعمدة منها** "[2]. ثم يشرح ذلك بقوله:

" **أترى أننا إذا جلّدنا هذه الصحيفة بجلد نظيفٍ وقيِّم، وعند قراءتها أو الاستخارة بها قبَّلناها ووضعناها على أعيننا أنكون ما اتخذناه مهجوراً؟!**

أترى إذا صرفنا غالب عمرنا في تجويده وجهاته اللغوية والبيانية والبديعية أنكون قد أخرجنا هذا الكتاب الشريف عن المهجورية؟!

هل إننا إذا تعلّمنا وجوه إعجاز القرآن وفنون محسناته أنكون بذلك قد تخلصنا عن شكوى رسول الله؟! "[3].

ويبادر إلى الإجابة بقوله ": **هيهات... فإنه ليس شيءٌ من هذه الأمور مورداً لنظر القرآن ومنـزله العظيم الشأن. إن القرآن كتاب إلهي وفيه الشؤون الإلهية** "[4].

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٧٤.

(٢) م ن، ص ١٠٤.

(٣) م ن، ص ١٠٤.

(٤) م ن.

فالإمام ينتهي إلى أن كثيراً من مظاهر الاشتغال بالقرآن قد يكون مصداقاً من مصاديق هجره أعاذنا الله من ذلك.

ولن نتخلص من هذه المشكلة بغير الرجوع إلى القرآن نفسه لنتعرف على نهج التعامل معه فهو كما يصف نفسه نور، كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾[1]. أُمرنا باتباعه،كما قال: ﴿...وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2].

ثم إن الإمام (ره) لا يخجل من القول "**لم نتمكن نحن ولا البشرية ولا علماء الإسلام الاستفادة من هذا الكتاب المقدس بالمقدار الذي ينبغي الاستفادة منه** "[3]. ليضعنا أمام مهمة كبرى بقدر ما نقصِّر فيها فإننا نعرِّض أنفسنا لمخاطر لا تعد ولا تحصى أفراداً وجماعاتٍ.

وليس من الأعذار الوجيهة أن يقال إن ذلك خاص بالعلماء أو إنهم وحدهم القادرون على فهمه؛ فـ" **القرآن نـزل على نحوٍ يستفيد منه كلٌّ على حسب كمال إدراكه ومعارفه وضعفها، وعلى حسب ما له من الدرجة العلمية**"[4]. وذلك لأنه " **مائدة أعدها الباري تبارك وتعالى للبشر بواسطة نبيه الأكرم، ليستفيد منها كلُّ إنسان بمقدار**

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٣) م ن، ص ٩٢.

(٤) م ن، ص ٩٠.

استعداده "[١]. حيث " **يستفيد منه كل الناس: الجاهل والعالم، والفيلسوف والعارف والفقيه والكل يستفيدون منه** "[٢]. كل واحد منهم بمقدار سعته " **الوجودية والفكرية** "[٣].

نعم، يجب الإقرار بأن " **بعض الآيات لا يمكن أن يفهمها إلا رسول الله والمتعلم بتعليمه** "[٤]. وهذا ليس من باب الهجر، وإنما هو إقرار بالعجز، وهو هنا عين التواضع المحمود.

وهنا كلمة خاصة لنفسي ولطلبة العلم في الحوزة العلمية فأقول: إن علينا أن نتنبه إلى أن هذا الكلام الذي قاله الإمام الراحل، وأمثاله كثير في تراثه، لا ينبغي أن نغض الطرف عنه ولا أن نردده من باب العتب، أو من باب التواضع أمام الكتاب الذي لا يمكننا فهمه إلى الدرجة التي نبتلي فيها بهجران القرآن حتى على مستوى التلاوة فضلاً عن فهم ما كتب في التفسير، أيّاً كان تقييمنا له.

فنحن مكلفون بخدمة القرآن تلاوة وتدبراً وفهماً وتفسيراً وتطبيقاً لمضامينه ودعوةً إليها. وذلك يتطلب تفريغ وقت مناسب من كلٍّ منا. وليس من الأعذار الوجيهة الاشتغال بالمقدمة، مهما كانت أهميتها، عن ذي المقدمة.

المشكلة الثانية: تعطيل القرآن

هجر القرآن في الغالب تكون دوافعه ذاتية، أما تعطيل القرآن

---

(١) م ن، ص ٩١.
(٢) م ن، ص ٩١.
(٣) م ن، ص ٩٢.
(٤) م ن، ص ٩٢.

فيراد منه في الغالب العوامل الخارجة عن النفس والتي تفرض نفسها للنأي بالقرآن عن واقع الحياة.

وللإمام (ره) وقفات كثيرة حمّل فيها الطواغيت والظلمة عبر تاريخ الأمة وزر السعي إلى تعطيل القرآن.

وهذا التعطيل لا يعني دائماً إنهم مارسوا إبعاداً ونفياً له، وإنما كان سعياً حثيثاً في تفريغ مضمون حضوره من المحتوى " **فقد استغل عباد الأنا والطواغيت القرآنَ الكريمَ، واتخذوه وسيلةً للحكومات المعادية للقرآن، وأبعدوا مفسري القرآن الحقيقيين والعارفين بالحقائق الحقة، ممن تعلّموا القرآن كله من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أبعدوهم بذرائع شتى** "[1].

ويضيف أنهم " **عطلوا القرآنَ الكريمَ، إلى حدٍّ بدا وكأنه لا دور له في الهداية، وهو الكتاب الذي تنـزل من مقام الأحدية السامي بالكشف المحمدي التام، هدى للعالمين** "[2].

ولم يقف سعيهم البغيض ذاك عند هذا الحد، بل سعى فريقان تآزرا عبر تاريخ الأمم في الهيمنة عليها وسلب مقدراتها، أعني بهما الحكام الطواغيت وفقهاء البلاط، وفي ذلك قال (ره) " **بلغ الانحراف درجة أن الحكومات الجائرة والخبثاء من فقهاء البلاط، وهم أسوأ من الطغاة، اتخذوا القرآن وسيلةً للظلم وترويج الفساد وتسويغ أعمال الظلمة والمعاندين لإرادة الحق تعالى** "[3]. حتى أن

---

(١) م ن، ص ٧٦.

(٢) م ن، ص ٧٧.

(٣) م ن.

القرآن الكريم أصبح بسبب الأعداء والجهلة "**وسيلةً لإثارة الخلاف، أو عُطِّل كليّاً**"[1].

ب - الحل

أما الحل فيكمن في رؤية الإمام قدس سره في تفعيل حضور القرآن في الأمة، وذاك يتوقف على فهمه وعلى تفسيره، ولكلٍّ منهما شروط ومتطلبات، وفي طريق كلٍّ منهما موانع وعقبات.

١ - الموانع

لنقدم الحديث عن الموانع:

أ - ويمكن القول إن أهمها الأهواءُ النفسانيةُ، " **فما دام الإنسان في حجاب نفسه فإنه لا يستطيع أن يدرك القرآن الذي هو نور** "[2]. ومن كان كذلك " **لا يكون مؤهلاً لانعكاس هذا النور الإلهي في قلبه**"[3]. ويؤمن - بجزم - أن "... **الهدف هو التزكية لأجل فهم الكتاب والحكمة** "[4].

والأهواء النفسانية هذه عنوان عريض ينتظم فيه جميع الرذائل الأخلاقية. ومن هذا المنطلق كان جهد الإمام جهيداً في تزكية النفوس وتهذيبها فلا يخلو خطاب من خطاباته ولا كتاب من كتبه ولا مجلس من مجالسه بالتذكير بالله تعالى والتأكيد على أهمية التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل. وأحسب أننا بغنى عن توثيق هذه

---

(١) م ن.
(٢) م ن، ص ٩٠.
(٣) م ن.
(٤) م ن، ص ٩٢.

الحقيقة بشواهد فحياته الخاصة والعامة حافلة بالدلائل والشواهد.

ب - ومن الموانع من فهم القرآن والاستفادة منه " **حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة** "[1].

جـ - ومن الموانع من فهم القرآن التعبد بآراء المفسرين[2].

د - ومن الموانع " **حجاب المعاصي والكدورات الحاصلة من الطغيان والعصيان** "[3].

هـ - ومن الموانع والحجب " **حب الدنيا** "[4].

و - ومن الموانع والحجب " **رؤية النفس** "[5]، ويعني بها الأنا وتضخمها بحيث يعتقد الإنسان أنه مستغنٍ وغير محتاج.

٢ - الشرائط:

يقر الإمام (ره) بل يؤكد على إمكانية ذلك كل بحسب استعداده[6].

وهذا القيد ضروري لأن " **تفسير القرآن ليس من المهام التي يستطيع أمثالنا أداء حقها** "[7].

وهو يؤمن بتعدد مناهج الفهم والتفسير " **فمثلاً عمد العرفاء على مدى عدة قرون إلى كتابة تفاسير عديدة على وفق طريقتهم،**

(١) م ن، ص ١٠٣.

(٢) م ن، ص ١٠٥.

(٣) م ن، ص: ١٠٦-١٠٧.

(٤) م ن، ص ١٠٧.

(٥) م ن، ص ١٠١.

(٦) م ن، ص ٩٢.

(٧) م ن، ص ٩٢.

وهي **طريقة المعارف** "[1]. ولكنه يقيم هذه الطريقة والمنهج بقوله " **ولكن القرآن لا ينحصر في ما ألفوا، فما قاموا به هو قراءة بعض وجوه القرآن الكريم وقراءة بعض أوراقه** "[2].

كما أنه يستعرض تفسير الجواهري وسيد قطب، وقبلهما الطبرسي في مجمع البيان، الذين اعتمدوا منهجاً مغايراً، لكنه يقيم طرائقهم، على جودة بعضها بأنها " **ليست تفسيراً للقرآن بكافة معانيه، فهم أيضاً كشفوا حجاباً واحداً آخر عنه** "[3].

لينتهي إلى تقرير حقيقة لا تغيب أبداً عن ناظريه، وهي أن التفسير الجامع والكامل للقرآن لا يقوم به " **غير أهل العصمة، وهم المعلَّمون بتعليمات الرسول** "[4].

ولا يغفل عن التحذير بمرارة من محاولات تفسيرية يقوم بها من " **لم يصلوا بعدُ إلى المستويات العالية من النضوج العلمي**"[5]. وإذا حصل اقتحام لميدان التفسير، خصوصاً إذا كان لغايات وأهداف مشبوهة " **فلا ينبغي لشبابنا أن يولوا أهميةً، أو يقيموا وزناً لمثل هذه التفاسير** "[6]. قال ذلك لما تصدى بعض قيادات منظمات سياسية ذوو خلفية يسارية وبعض الأشخاص الليبراليين لتفسير القرآن في الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية، الأمر الذي دفع به (ره) على

---

(١) م ن، ص ٩٢.

(٢) م ن، ص ٩٢.

(٣) م ن، ص ٩٣.

(٤) م ن، ص ٩٤.

(٥) م ن، ص ٩٤.

(٦) م ن، ص ٩٤ – ٩٥.

كثرة مشاغله إلى إلقاء دروس في التفسير[1]، لإشاعة الثقافة القرآنية الأصيلة من جهة، ولكشف زيف أولئك الجهلة من جهة أخرى. حال للأسف دون مواصلتها مرضُهُ الذي ألَمَّ به.

(١) نشرت كتفسير للبسملة.

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. مكتبة أهل البيت عليهم السلام - الإصدار الثاني

٣. المكتبة الشاملة

٤. الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم المتوفى ١٤٢٢هـ، الطبعة الثانية، آب أغسطس ١٩٧٩م، الناشر: مؤسسة آل البيت ع للطباعة والنشر.

٥. أهداف التربية الإسلامية، د ماجد عرسان الكيلاني، الناشر: دار القلم، الطبعة الأولى.

٦. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري المتوفى ٨٠٤هـ، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي المتوفى ١١١١هـ، الطبعة الثانية

المصححة، سنة الطبع ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي.
٨. تاريخ العرب القديم، الدكتور توفيق برو، الناشر: دار الفكر - دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٩. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، الناشر: مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة الخامسة.
١٠. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠هـ، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، دار إحياء التراث العربي.
١١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى المتوفى ١٣٥٣هـ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
١٢. تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، المتوفى ٧٢٦ هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ربيع الأول ١٤١٤هـ، المطبعة: مهر - قم، الناشر: مؤسسة آل البيت ع لإحياء التراث - قم.
١٣. توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد، آقا بزرگ الطهراني المتوفى ١٣٨٩هـ، تحقيق: محمد علي الأنصاري، سنة الطبع: ١٤٠١هـ مطبعة الخيام - قم.
١٤. ثواب الأعمال، الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق

المتوفى ٣٨١هـ تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٣٦٨ هـ - ش، المطبعة: أمير - قم، الناشر: منشورات الشريف الرضي - قم.

١٥. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي المتوفى ١٢٦٦هـ، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوچاني، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٣٦٥ هـ ش، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

١٦. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفى ٤٥٠هـ، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩ م.

١٧. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الشيخ يوسف البحراني المتوفى ١١٨٦هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قام بنشره: الشيخ علي الآخوندي.

١٨. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفى ٢٧٣هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

١٩. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر البغدادي

الدارقطني المتوفى ٣٨٥هـ، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٠. سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي المتوفى ٢٥٥هـ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢١. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٢. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي المتوفى ٣٠٣هـ حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن محمد بن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح المتوفى ١٠٨٩هـ تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٢٤. شرح التلقين، محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري

المالكي المتوفى ٥٣٦هـ، تحقيق: سماحة الشيخ محمَّد المختار السّلامي، الناشر: دار الغرب الإِسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٢٥. صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات لسماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي قدس سره مع تعليقات وملحق لسماحة آية الله العظمى الميرزا الشيخ جواد التبريزي، جمع الشيخ موسى عاصي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: جمادى الأولى ١٤١٦هـ المطبعة: سلمان الفارسي، الناشر: دفتر نشر برگزيده.

٢٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.

٢٧. الصحيفة السجادية الكاملة، الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام المتوفى ٩٤هـ، خط: حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني، سنة الطبع ١٤٠٤ - ١٣٦٣ هـ - ش، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٨. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي

الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس المتوفى ٩٧٤هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

٢٩. العروة الوثقى، السيد محمد كاظم اليزدي المتوفى ١٣٣٧ هـ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة مع تعليقات عشرة من المراجع.

٣٠. علل الشرائع، الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق المتوفى ٣٨١هـ، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف.

٣١. علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة، عادل عز الدين الأشول، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، دون تاريخ.

٣٢. عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ محمد بن علي الصدوق المتوفى ٣٨١هـ، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م، المطبعة: مطابع مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

٣٣. الغيبة، ابن أبي زينب النعماني المتوفى ٣٨٠هـ، تحقيق: فارس حسون كريم، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٢هـ،

المطبعة: مهر - قم، الناشر: أنوار الهدى.

٣٤. الفوائد الطوسية، الشيخ محمد حسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٤هـ، علق عليه وصححه العالمان المتتبعان الحاج السيد مهدي اللازوردي والشيخ محمد درودي، سنة الطبع: شعبان ١٤٠٣هـ، المطبعة العلمية - قم.

٣٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري المتوفى ١٠٣١هـ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

٣٦. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني المتوفى ٣٢٩هـ، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، سنة الطبع: ١٣٦٣ هـ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٣٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ، سنة الطبع: ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء.

٣٨. قصة الحضارة، ول ديورانت المتوفى ١٩٨١م، تقديم: الدكتور محيي الدّن صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر:

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٣٩. كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى ١٢٢٨هـ، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان - المحققون: عباس التبريزيان، محمد رضا الذاكري طاهريان وعبد الحليم الحلي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢هـ - ١٣٨٠ هـ ش، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.
٤٠. كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي المتوفى ١١٢٥هـ تحقيق: حسين درگاهي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: نيمه شعبان ١٤٠٧ هـ ق- ١٣٦٦ هـ. ش، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
٤١. مباني العروة الوثقى، كتاب النكاح، السيد أبو القاسم الخوئي المتوفى ١٤١٣هـ، بقلم السيد محمد تقي الخوئي، الناشر: منشورات مدرسة دار العلم.
٤٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو الفضل الطبرسي المتوفى ٥٤٨هـ، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.
٤٣. المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري المتوفى ٤٥٦هـ، الناشر: دار

الفكر - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٤٤. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني المتوفى ٣٦٠هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.

٤٥. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، الشيخ محمد باقر المجلسي المتوفى ١١١١هـ، قدم له: العلم الحجّة السيّد مرتضى العسكري - إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرسولي، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤ ه ق- ١٣٦٣ هـ ش، المطبعة: مروي، الناشر: دار الكتب الإسلامية.

٤٦. معاني الأخبار، الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق المتوفى ٣٨١هـ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٣٧٩ - ١٣٣٨ هـ - ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤٧. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني المتوفى ٢١١هـ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٤٨. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة المتوفى ٢٣٥هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٩. مسائل حرب الكرماني لأبي محمد حرب بن إسماعيل

الكرماني من أول كتاب الصلاة إلى باب الإمام يُحْدِث فيقدّم من سبقه بركعة- دراسة وتحقيق، أبو محمد حرب ابن إسماعيل بن خلف الكرماني المتوفى: ٢٨٠هـ، تحقيق: أحمد بن علي الغامدي، الناشر: رسالة ماجستير للباحث أحمد بن علي الغامدي، قسم الفقه وأصوله بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، بإشراف د. فيصل بن سعيد بالعمش، عام النشر: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

٥٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٥١. مشرق الشمسين وإكسير السعادتين، الشيخ محمد بهاء الدين العاملي المتوفى ١٠٣١هـ، مع تعليقات الشيخ إسماعيل بن الحسين المازندراني الخاجوئي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، العتبة الرضوية المقدسة، دون تاريخ.

٥٢. معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دكتور محمد أبو المحاسن عصفور، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

٥٣. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد أبو القاسم الخوئي المتوفى ١٤٣١هـ، الطبعة الخامسة، سنة الطبع: ١٤١٣ - ١٩٩٢ م، طبعة منقحة ومزيدة.

٥٤. المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا المتوفى ١٩٧٦م،

الناشر: الشركة العالمية للكتاب - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٥٥. مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مدكور، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥٦. منهجية الثورة الإسلامية، إصدار وزارة الإرشاد الإسلامي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٥٧. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت.

٥٨. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي المتوفى ١٤٠٢هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، دون تاريخ.

٥٩. هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (ع)، محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٤هـ، تحقيق: قسم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢هـ، المطبعة: مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية - مشهد - ايران.

٦٠. نتائج الأفكار في نجاسة الكفار، السيد محمد رضا الموسوي الگلپايگاني المتوفى ١٤١٤هـ، الطبعة الأولى، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٣هـ، المطبعة: أمير، الناشر: دار القرآن الكريم - قم المقدسة. تقرير أبحاث السيد محمد رضا الموسوي الگلپايگاني بقلم الشيخ علي الكريمي الجهرمي.

٦١. الوافي، محسن الفيض الكاشاني المتوفى ١٠٩١هـ، تحقيق: مركز التحقيقات الدينية والعلمية في مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع)، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤١٥ هـ ق، شهريور ١٣٧٣ هـ ش، المطبعة: طباعة أفست نشاط أصفهان، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة - إصفهان.

٦٢. وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد حسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٤هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت ع لإحياء التراث، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ، المطبعة: مهر - قم، الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة.

الفهرس